

برنامج السعدي – المستوى الأول 2017

تفريغ محاضرات مادة

"علوم القرآن"

للدكتور/ عمر عبد العزيز الدهيشي

إعداد:

فريق عمل تفريغ المحاضرات

تحت إشراف:

رئيفة درويش

23 محرم 1439 هـ/ 14 أكتوبر 2017 م

علوم القرآن

د. عمر عبد العزيز الدهيشي

المحاضرة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فبادئ ذي بدءٍ أحيي الأخوة جميعًا بتحية الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسأل الله عز وجل لي ولكم التوفيق والتسديد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، اللهم يا مُعلِّم داوود علمنا ويا مفهم سليمان فهمنا، بإذن الله عزَّ وجلَّ في هذه المحاضرة والمحاضرات التي تتلوها سنتحدث وإياكم ونتكلم عن علمٍ من أهم العلوم الشرعية؛ وهو علم **(علوم القرآن)**، وهذه العلوم تتعلق بأعظم كتابٍ أُنزل على البشرية كلها، وهي علوم لا يمكن أن تؤخذ وتُدرس إلا من خلال هذا العلم، وهو علم علوم القرآن، وقبل أن نَدلُف إلى علوم القرآن يجب، أو يحسن بنا أن نقدم **بمقدمات** قبل أن نشرع في علوم القرآن، ومن تلك المقدمات: التعريف بالقرآن الكريم، ثم التعريف بعلوم القرآن، ثم نتكلم بإذن الله عزَّ وجلَّ عن نشأة علوم القرآن وعن تطور هذا العلم من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا الحاضر.

تعريف القرآن الكريم في اللغة

اتفق العلماء على أن لفظ القرآن هو اسمٌ وليس بفعلٍ ولا حرف، ولكنهم اختلفوا في اشتقاقه على أقوال:

القول الأول: أن القرآن اسمٌ جامد، ليس بمشتقٍ ولا مهموز، **وُضِعَ أول ما وضع علمًا على القرآن**، كما أن اسم التوراة علمٌ على الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام، والإنجيل علمٌ على الكتاب الذي أُنزل على عيسى عليه السلام؛ ذهب إلى هذا القول **الشافعي** - رحمه الله - حيث قال: "وقرأت على إسماعيل بن قسطنطين، وهو أحد شيوخه، وكان يقول: القرآن اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من (قرأت)، ولو أُخذَ من قرأت لكان كل ما قُرِأ قرآنًا، ولكنه اسمٌ للقرآن مثل التوراة والإنجيل".

القول الثاني: أن الهمزة في اسم القرآن أصلية، فهو مصدرٌ مهموز، وهو **مشتقٌ من قرأ بمعنى تلا**، ومنه قوله سبحانه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: 17-19]، إن علينا جمعه وقرآنه أي: قراءته، وفلانٌ قرأ عليك السلام وأقرأك السلام بمعنى، ذهب إلى هذا القول **ابن عباس** - رضي الله تعالى عنهما-.

القول الثالث: أن الهمزة في لفظ القرآن كذلك أصلية، وهو وصف على وزن فعلان، **مشتق من قرأ الشيء قرآنًا؛ أي جمعه وضمه**، ومنه سمي القرآن؛ لأنه يجمع السور ويضمها، قال **ابن الأثير**: والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته. وذهب إلى هذا القول **قتادة**.

القول الثاني أن قرأ همزته أصلية ولكنه بمعنى تلا، أما القول الثالث الذي تكلمنا عنه قبل قليل همزته أصلية ولكنه بمعنى قرأ - ليس بمعنى تلا – وإنما بمعنى جمع.

قال **ابن جرير** بعد أن ساق القولين (القول الثاني والقول الثالث) قال: "ولكلا القولين وجهٌ صحيح في كلام العرب، وإذا أُسقطت الهمزة فيهما فهو للتخفيف".

القول الرابع: أن الهمزة في القرآن غير أصلية، لكن النون في آخر الكلمة أصلية، وهو مشتق من قرن، يقال: قرن الشيء بالشيء إذا جمعه، وقرن بين الحج والعمرة إذا جمعهما في سفر واحدٍ؛ قال **ابن فارس**: القاف والراء والنون أصلان صحيحان أحدهما يدل على جمع شيءٍ إلى شيء، وذهب إلى هذا القول **الأشعري** وغيره.

القول الخامس: أن الهمزة في القرآن غير أصلية والنون أصلية، وهو مشتق من القرائن، القول الرابع مشتق من قَرَنَ، أما في القول الخامس فقيل: إنه مشتق من القرائن؛ لأن الآيات التي في القرآن يصدق بعضها بعضًا، فهي قرائن تدل على صدق هذا الكتاب العزيز، وعلى أنه معجزٌ بلفظه ومعناه، قال بهذا القول **الفَرَّاءُ**، وردّه **بعضهم**.

نحن ذكرنا خمسة أقوال ، ويمكن أن نختصر هذه الأقوال الخمسة في **ثلاثة أقوال**:

القول الأول: أنه اسمٌ جامد، وضع أول ما وضع عَلَم على القرآن.

القول الثاني: أن القرآن أصله قرأ، فالهمزة فيه أصلية، وقد يكون بمعنى تلا، أو بمعنى جمع.

القول الثالث: أن القرآن غير مهموز، لكن نونَه أصلية، فيكون بمعنى قرن، أو بمعنى قرائن.

هذه مجمل الأقوال التي قيلت، وذكرها العلماء في أصل هذه الكلمة وهذه التسمية وهذا العَلَم الذي هو القرآن، **ولعل القول الثاني الذي هو بمعنى قرأ بكلا المعنيين (بمعنى تلا أو بمعنى جمع) لعله يكون هو أرجح الأقوال**، وهو الذي يوافق قراءة الأئمة السبعة ما عدا ابن كثير، **وكونه بمعنى تلا أرجح** من معنى الضم والجمع؛ لأن الله عزَّ وجلَّ غاير بين المعنين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾؛ فالقراءة هنا مغايرة للجمع؛ لأن الأصل في واو العطف أن تكون للمغايرة. هذا ما يتعلق بتعريف القرآن في اللغة، وأصل هذه الكلمة (القرآن).

تعريف القرآن الكريم في الاصطلاح

ننتقل بعد ذلك إلى تعريف القرآن في الاصطلاح. حقيقةً يتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص؛ لأنه مهما قلنا في تعريف هذا القرآن فلن نحيط بمعناه كاملاً، ولا يمكن أن ندرك أوصافه وندرك معانيه؛ وهو كلام مباينٌ لكلام البشر، فهو كلام رب البشر سبحانه وتعالى، ولكن مشيًا على طريقة التعريفات التي تُميز الشيء عن غيره - ولا نقول : إن هذا التعريف هو تعريف جامع مانع ولكنه نميزه ببعض المزايا التي تميزه وتغايره عن غيره - فيمكن أن يعرف القرآن في الاصطلاح بأنه:

كلام الله تعالى، المُنَزَّل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، المُعجز بلفظه، المُتَعبَّد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس.

هذه الاحترازات والقيود ليخرج ما يلي:

- (كلام الله): يخرج كلام غيره من الجن والإنس والملائكة،
- (المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم): يخرج ما كان منزلاً من الكتب السابقة ولكن على غيره من الرسل؛ كالتوارة والإنجيل والزبور وغير ذلك،
- (المعجز بلفظه): يخرج غير المعجز من كلام الله تعالى؛ كالأحاديث القدسية على قول إن الألفاظ من عند الله عزَّ وجلَّ، وكذلك يخرج الكتب السابقة، فإن هذا القرآن يتميز عن الكتب السابقة بأنه وحيٌ أوحاه الله عزَّ وجلَّ، وهذا الوحي مُعجِز؛ ولهذا الله عز وجل تحدى المشركين بأن يأتوا بحديث مثله ثم تنزل معهم فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود: 13] ثم تنزل معهم سبحانه وتعالى فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس: 38]، مما يدل على أن هذا القرآن هو معجز بلفظه ومعانيه. ويدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [ما من الأنبياء من نبي إلا أُعطِيَ ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيتُه وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعًا يومَ القيامة]، فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لنبينا صلى الله عليه وسلم.
- (المتعبد بتلاوته): يخرج القراءات التفسيرية، والقراءات الآحادية؛ فإن الله عزَّ وجلَّ لم يتعبدنا بتلاوتها وقراءتها،
- (المنقول بالتواتر): يخرج ما سوى القرآن المتواتر، من منسوخ التلاوة ومن القراءات الشاذة فلا تسمى تلك بقرآن،
- (المكتوب في المصاحف): فما ليس مكتوبًا في المصاحف كالآيات المنسوخة تلاوةً وحكمًا أو تلاوةً فقط لا تعد قرآنًا.

وهذه القيود الثلاثة الأخيرة (المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف) هي في الحقيقة لبيان الواقع لا للإخراج والاحتراز؛ لأن قيد (المعجز بلفظه) يكفي عنها كلها. هذا ما يتعلق بتعريف القرآن في اللغة والاصطلاح.

تعريف "علوم القرآن"

ننتقل بعد ذلك إلى تعريف "علوم القرآن". نُعرِّف هذا العلم، ونُميز بين هذا العلم وغيره من العلوم الشرعية، فنقول: إن علوم القرآن إذا اعتُبر عموم هذه الجملة المركبة تركيبًا إضافيًا، فإنه سيدخل تحت مظلتها جميع العلوم الدينية واللغوية، بل والعلوم الدنيوية مما لنا فيه مصلحة وفائدة على الصحيح؛ لأن الله عزَّ وجلَّ يقول في

كتابه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: 89]، فكل العلوم التي تؤخذ من القرآن يصح أن نطلق عليها أنها علوم القرآن؛ لأن هذه العلوم أُخذت أصولها من القرآن، وكذلك يقول سبحانه وتعالى كما في سورة الأنعام: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:38] على قول بعض المفسرين الذين قالوا: أنَّ المراد بالكتاب هنا هو القرآن. وهذا حقيقة فيه توسع؛ إذ يشمل كل العلوم المستنبطة منه، والمساندة له، وما وردت الإشارة فيه إليه، وهو حقيقة ليس مرادًا هنا في مقررنا هذا.

ولكن المراد بعلوم القرآن في مقررنا هذا، هو تعريفه باعتباره فنًا مدونًا، أو مصطلحًا تداوله العلماء -رحمهم الله تعالى- على مجموعة علومٍ متعلقة بالقرآن الكريم، مرتبطة به، اصطُلِحَ على تسميتها بعلوم القرآن.

اختلفت عبارات العلماء في تعريف هذا العلم، ومن تلك التعريفات:

- تعريف **الزُرقاني** في كتابه ***مناهل العرفان*** قوله: "مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه، ودفع الشُبه عنه".
- ونحو هذا التعريف عرفها **محمد أبو شهبة** في كتابه ***المدخل***، وكذلك الدكتور **فهد الرومي** في كتابه ***دراسات في علوم القرآن***.
- وكذلك عرفها الدكتور **منَّاع القطان** في كتابه ***مباحث في علوم القرآن*** بأنه: "العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن".
- ويقرب منهما كذلك تعريف الدكتور **حسن ضياء** ولكنه أضاف قيدًا وهو: اعتبار كل علم منها علمًا مستقلاً، فقال: "علمٌ يضم أبحاثًا كلية هامة تتصل بالقرآن العظيم من نواحٍ شتى، يمكن اعتبار كل منها علمًا متميزًا". وقيل غير ذلك.

ومما يلاحظ على ما سبق، أن الاختلاف بين هذه التعاريف يكاد يكون في التعبيرات والمصطلحات فحسب، أما المعاني فهي متفقة، كذلك اكتفوا -رحمهم الله وحفظ الأحياء منهم- بالتمثيل لبعض علوم القرآن.

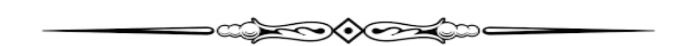
- هناك باحث مغربي وهو الدكتور **فاروق حمادة** أقام ضابطين لهذا العلم يضبط بهما هذا العلم؛ ليخرج ما خالف هذين الضابطين؛ حيث قال: "إن علوم القرآن أصبحت تنحصر في شعبتين اثنتين: **أولاهما**: تاريخ القرآن وما ينضوي تحته من نزوله وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغير ذلك، و**ثانيهما**: الوسيلة الصحيحة لفهمه على الوجه الحق، وينضوي تحت ذلك علوم اللغة والإعجاز والمحكم والمتشابه"، ثم يقول: "فإن على كل من يريد التعامل مع النص القرآني، أن يطلع على هاتين المقدمتين اللازمتين تحت اسم علوم القرآن، وبمقدار ما يجانبهما سيجانب الحقيقة ويبعد عن الصواب"، انتهى كلامه.

- لعلي أضيف إلى الضابط الثاني إضافة يسيرة، وهو أنه حفظه الله يقول: الضابط الثاني: "الوسيلة الصحيحة لفهمه على الوجه الحق، وينضوي تحت ذلك علوم اللغة والإعجاز والمحكم والمتشابه"، **أضيف:** "وتلاوته تلاوة صحيحة"؛ ليدخل ضمنها التجويد وما يتعلق به، وكذلك القراءات القرآنية.

ومن خلال هذه الضوابط يمكن أن يُقال في تعريف "**علوم القرآن**" بأنه :
علومٌ أو مباحثٌ تتعلق بتاريخ القرآن الكريم، وما كان وسيلة لفهمه وتلاوته على الوجه الصحيح؛ حتى نجمع العلوم المتعلقة بتاريخ نزوله وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وما شابهها، كذلك نُدخل العلوم المساندة لهذا العلم التي أشار إليها الدكتور "فاروق" وهي: ما كان وسيلة صحيحة لفهمه؛ كعلوم الإعجاز والمحكم والمتشابه والمطلق والمقيد، كذلك نضيف إليها ما كان وسيلة لقراءته قراءة صحيحة.فنحن مُتعبدون بالإيمان بالقرآن الكريم، وأنه من عند الله عزَّ وجل، وكذلك متعبدون بالاستجابة لأوامره والانتهاء عن نواهيه، كما نحن متعبدون بتلاوته تلاوة صحيحة على الوجه الذي أنزله الله عزَّ وجل عليه، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ القرآن تلقيًا من عند جبريل عليه السلام ، وجبريل عليه السلام يأخذ القرآن تلقيًا من عند الله عزَّ وجل بصوتٍ مسموع؛ كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل:6]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: 192-195]، وفي الآية التي ذكرناها في مطلع هذه المحاضرة، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: 18-19]، فنحن متعبدون بتلاوته تلاوة صحيحة، تلاوة سليمة، سالمة من الخطأ والنقص.
أسأل الله عزَّ وجل لي ولكم التوفيق والتسديد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يهدينا ويوفقنا للعمل الصالح، هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **أخت في الله**
قام بالمراجعة الأولى والتدقيق: **أحمد عبد الرحمن**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**



علوم القرآن

د. عمر عبد العزيز الدهيشي

المحاضرة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمدلله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

نستكمل ما قد بدأناه في المحاضرة السابقة عندما تكلمنا عن **مقدمات علم "علوم القرآن"**. نستكمل هذه المقدمات وقد سبق أن تكلمنا عن القرآن كعَلَم يطلق على القرآن، هل هو اسم مشتق، أو اسم جامد، وقلنا أن من العلماء من قال أنه اسم جامد وضع أول ما وضع علما على القرآن، لم يستعمل هذا القرآن في غيره، وليس مشتقا من أي كلمة سواه، ومنهم من قال لا بل هو لفظ مشتق، واختلفوا، فمنهم من قال هو مشتق من قرأ، وفتكون الهمزة فيه أصلية، ومنهم من قال هو مشتق من قرن، وتكون النون فيه أصلية، وذكرنا أن الراجح في ذلك -والله أعلم- والأقرب أن **قرأ** الهمزة فيه أصلية، وأنه بمعنى **تلا**، وهو الأقرب للآية التي قال الله عز وجل فيها: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17)فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18)﴾ (سورة القيامة). ثم ذهبنا بعد ذلك إلى تعريف القرآن في الاصطلاح، ثم عرجنا على تعريف علوم القرآن، وذكرنا الضوابط التي يمكن أن تضبط هذا العلم، وبيناه، وذكرنا من قال به، والإضافات التي أضفنا إليها . كذلك من المقدمات التي نجعلها كالتوطئة لدراسة علوم القرآن، ويحسن بنا كذلك أن نقدمها، وهو موضوع محاضرة اليوم، هو الحديث عن:

✓ أسماء القرآن وأوصافه

إن القرآن الكريم نزل على أمة جاهلية تعيش في تخبط، وظلام، وجهالة، وضلالة، لا علم لها بالكتاب ولا معرفة لها بالخطاب الرباني. نعم هي تتفوق في البلاغة، وتتفاخر بالفصاحة، ولكن هذا الكتاب هو مغاير لهذه البلاغة وتلك الفصاحة، فإنه كلام رب البشر كلام وخطاب رباني. فذكر الله عز وجل في ثنايا القرآن الكريم أسماءً وأوصافاً تبين للناس كلهم حقيقة هذا القرآن، وتبين صدقه وبيانه وإرشاده وبركته، لكي يكون دافعا لهم إلى الإيمان بهذا الكتاب، وإلى الاهتداء بهدي هذا الكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم فهو- سبحانه وتعالى - أصدق القائلين وأحكم الحاكمين سبحانه وتعالى .

وعندما نجيل النظر في القرآن الكريم نجد أن القرآن الكريم تضمن آياتٍ كثيرة تحوي أسماءً عديدة للقرآن الكريم، حتى بلغ عدد أسماء القرآن وأوصافه المذكورة في القرآن فقط، بلغت أربعة وستين بين اسم ووصف، ومن ذلك: **القرآن، الكتاب، الفرقان، التنزيل، الوحي، بشير، الحكيم، تبيان، نبأ عظيم**، وغيرها من الأسماء والصفات، فتعددت الأسماء والصفات في القرآن الكريم، كقوله سبحانه وتعالى:

- ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (1)﴾ (سورة النمل)،
- ﴿ص ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1)﴾ (سورة ص)،
- ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192)﴾ (سورة الشعراء)،
- ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (89)﴾ (سورة النحل)،
- ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (67)أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (68)﴾ (سورة ص).

لقد نص بعض العلماء على أسماء وردت في القرآن على أنها أسماء للقرآن، ولكن الأظهر عند التأمل فيها وفي سياقها، ومن خلال تأمل أقوال المفسرين فيها، أنها ليست من أسماء القرآن. فبعض العلماء تجاوز ووسع الدائرة في ذكر **أسماء ذكرت في القرآن**، وقال أنها للقرآن، والأقرب - والله أعلم - من خلال سياق الآيات، ومن خلال أقوال المفسرين أنها **ليست بأسماء للقرآن**، ومن ذلك:

- **الكوثر** في قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1)﴾ (سورة الكوثر). فمن العلماء من قال أن المراد بالكوثر هنا القرآن، وفي المقابل نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم وقد فسر بنفسه الكوثر عندما وقال: "أَتَدْرون ما الكوثرُ ؟ فقلنا : اللهُ ورسولُه أعلمُ . قال: فإنه نهرٌ وعَدَنِيه ربي عزَّ وجَلَّ، عليه خيرٌ كثيرٌ، وحوضٌ تَرِدُ عليه أمتي يومَ القيامةِ ....." الحديث في صحيح مسلم.
- كذلك **الميزان**؛ من العلماء من قال أن من أسماء القرآن الميزان، ولكن الأقرب أنه ليس من أسماء القرآن.
- كذلك **النجوم**، وكذلك **الداعي**، ومن ذلك **القسط**، فالأقرب أن هذه ليست بأسماء للقرآن، وإنما هي أسماء لغيره.

أيضا تضمنت الأحاديث النبوية جملة من الأسماء والصفات، من مثل : آيات الله، البينات، ثقيل، الحكمة، حبل الله، وغير ذلك؛ ولكن الذي يظهر أن مجموع الأسماء التي وردت في الأحاديث النبوية هي أقل من الأسماء التي ذكرت في القرآن الكريم للقرآن الكريم.

أحب أن أنبه إلى أن هذه الأسماء والأوصاف هي في الحقيقة أسماءٌ في العرف النحوي؛ أي أن هي أسماء تقابل الأفعال، إلا أن الاسم أيضا يطلق ويراد به ما يقابل الصفة. فالاسم ما كان جنسا غير مأخوذ من الفعل، نحو: رجل، فرس، والصفة ما كان مأخوذا من الفعل، نحو: اسم الفاعل، واسم المفعول؛ كضارب، ومضروب .

عند التأمل والنظر في الأسماء التي يمكن أن تستعمل كأسماء أعلام للقرآن الكريم، أي عندما يطلق هذا الاسم فإن الذهن مباشرة ينصرف إلى القرآن، فإن جملة من الأسماء التي يمكن أن نعتبرها أوصاف تشاركها أسماء أخرى. وهناك أسماء أعلام التي إذا أطلق هذا الاسم فإنه ينصرف الذهن مباشرة إلى القرآن الكريم، ويمكن أن نعد منها أو نقتصر على **خمسة أسماء فقط**؛ فمثلا على سبيل المثال، قوله - سبحانه وتعالى -: هدى؛ هذا الهدى يشمل

القرآن، ويشمل السنة. هناك جملة من الأوصاف تشمل القرآن، وتشمل غيره. لكن **الأسماء الأعلام التي لا تطلق إلا على القرآن أو إذا أطلقت ينصرف الذهن مباشرة إلى القرآن الكريم** يمكن أن نقتصر على خمسة منها ألا وهي: **القرآن، الكتاب، الذكر، الفرقان، التنزيل**، وباقي الأسماء هي أوصاف.

وقد اقتصر الإمام ابن جرير- رحمه الله تعالى -، وابن عطية، وغيرهما على أسماء **أربعة**؛ اقتصروا على الأسماء الأربعة الأولى وهي: القرآن، الكتاب، الذكر، الفرقان، أما اسم التنزيل فإنه مما شاع حقيقة على ألسنة العلماء، وتداولوه فيما بينهم، فأصبح علما على القرآن، فتراهم يقولون: ورد في التنزيل كذا، وكذا، ولم يرد في التنزيل كذا، وكذا، فإن الذهن مباشرة ينصرف إلى القرآن الكريم.

فإذا تأملنا في هذه الأسماء الأربعة، أو الأسماء الخمسة التي هي أسماء أعلام؛ نجد أنها في القرآن تُلحق بأوصاف لهذا القرآن، تلحق بأوصاف لهذا الاسم، وبالمثال يتضح المقال. فكثير من الأوصاف تضاف لهذه الأسماء الخمسة، كقوله تعالى:

- ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)﴾ (سورة البقرة)،
- ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ (1)﴾ (سورة الحجر) ،وصف الله -تعالى- القرآن بأنه مبين،
- ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192)﴾ (سورة الشعراء)،
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41)﴾ (سورة فصلت)، أي الذكر.

فكثير من الأوصاف تأتي بعد ذكر هذه الأسماء الأعلام، وهذا مما يرجح أن هذه الأسماء أسماء أعلام لهذا القرآن، هذه الأسماء الخمسة، وبقية الأسماء التي وردت في القرآن الكريم، أو في السنة إنما هي أوصاف لهذا القرآن.

من العلماء من اقتصر على اسم واحد للقرآن، وقال هو الاسم العلم الوحيد للقرآن ،واستبعد الذكر، واستبعد الكتاب، واستبعد التنزيل، واستبعد الفرقان، وقال الاسم العلم لهذا القرآن هو: تسميته باسم "**القرآن**"، وعد بقية الأسماء أوصافا، وأجناسا. وحقيقةً لهذا القول وجاهته. وممن قال بهذا القول: **ابن عاشور** -رحمه الله- في قوله: فإن الذكر، والفرقان أطلقت وسمي بها القرآن، وسميت بها بعض الكتب السابقة كالتوراة على سبيل المثال، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ (48)﴾ (سورة الأنبياء)، ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105)﴾ (سورة الأنبياء). فأصحاب هذا القول يرون أن الاسم العَلَم للقرآن الكريم هو اسم واحد فقط، وهو تسميته باسم القرآن، والأمر في هذا يسير، ولكل وجهة هو موليها.

✓ أوصاف القرآن

- **أوصاف القرآن التي وردت في القرآن الكريم:**

نأتي إلى أوصاف القرآن؛ وهي كثيرة جدا، بلغت في القرآن فحسب قرابة تسعة وخمسين وصفا، وذكر جملة من هذه الأوصاف في الأحاديث النبوية -على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم- وسبق معنا ذكر أمثلة لهذه الأوصاف، ومن ذلك قوله -سبحانه وتعالى- : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (89)﴾ (سورة النحل)، ويقول تعالى : ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)﴾ (سورة البقرة)، ويقول- سبحانه وتعالى- : ﴿المص (1) كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (2)﴾ (سورة الأعراف)، وغير ذلك من الأوصاف.

- **أوصاف القرآن الكريم التي وردت في السنة النبوية الشريفة:**

وردت في السنة النبوية الشريفة جملة من الأوصاف للقرآن الكريم، منها ما جاء ذكره في القرآن الكريم، ومنها ما جاء ذكره مستقلا في السنة النبوية، أي لم يذكر إلا في السنة النبوية. فإذا نظرنا إلى السنة النبوية نجد أن أوصاف القرآن التي وردت في السنة النبوية، نجد أنها على طريقين، أو على منهجين:

* **المنهج الأول:** أن ترد أحاديث تجمع أوصاف القرآن كاملة في أحاديث مستقلة.

ومن ذلك حديث الحارث ابن الأعور عن عليّ –رضي الله تعالى عنه- وفيه أن النبي -صلى الله عليه وسلم قال: "كتابُ اللَّهِ فيهِ نبأُ ما كان قبلَكم وخبرُ ما بعدَكم وحُكمُ ما بينَكم وهوَ الفصلُ ليسَ بالهزلِ مَن تركهُ مِن جبَّارٍ قصَمهُ اللَّهُ ومن ابتغى الهدى في غيرِهِ أضلَّهُ اللَّهُ وهوَ حبلُ اللَّهِ المتينُ وهوَ الذِّكرُ الحكيمُ وهوَ الصِّراطُ المستقيمُ....."، الحديث. فهذا الحديث جمع جملة كبيرة من أوصاف القرآن الكريم، لكن إسناده ضعيف، وقد تكلم العلماء على إسناد هذا الحديث، وتكلموا عن الحارث ابن الأعور .

كذلك من الأمثلة؛ حديث ابن مسعود -رضي الله تعالى- عنه وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إنَّ هذا القرآنَ مأدبةُ اللهِ فاقبَلوا مأدُبتَه ما استطعتَم إنَّ هذا القرآنَ حبلُ اللهِ والنُّورُ المبينُ والشِّفاءُ النَّافعُ عصمةٌ لمن تمسَّك به ونجاةٌ لمن اتَّبعه ....."، الحديث. ولكن هذا الحديث كذلك تكلم العلماء في إسناده، فإسناده ضعيف،

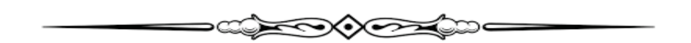
* **المنهج الثاني:** أن نجد بقية الأوصاف ذكرت متفرقة في جملة من الأحاديث النبوية.

وقد بلغت هذه الأسماء والأوصاف في الأحاديث النبوية ثلاثة عشر وصفا وثلاثة أسماء؛ فقد تم ذكر ثلاثة أسماء للقرآن الكريم في الأحاديث النبوية وهي: **القرآن، والكتاب، والفرقان**، والأوصاف بلغت **ثلاثة عشر وصفًا** -والله تعالى أعلم- اجتهدت في جمعها. فأقول مرة أخرى ذكر من الأسماء؛ الأسماء الثلاثة: القرآن،

الكتاب، والفرقان، أما الأوصاف فذكر في الأحاديث النبوية **ثلاثة عشر** وصفا منها: حبل الله، ومنها وصف القرآن بأنه ثقيل، وغير ذلك من الأوصاف.

نكتفي بهذا القدر فيما يتعلق بأسماء القرآن وأوصافه، ونبتديء بإذن الله عز وجل في المحاضرة القادمة بنشأة هذا العلم وتطوره.

هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **غادة علاء الدين محمود**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**



علوم القرآن

د. عمر عبد العزيز الدهيشي

المحاضرة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد. فبادئ ذي بدء أُحييكم بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسأل الله عز وجل لي ولكم التوفيق والتسديد.

في المحاضرتين السابقتين تكلمنا عن **تعريف القرآن وتعريف علوم القرآن**، ثم تكلمنا بعد ذلك عن **أسماء القرآن وأوصافه**، وحان الوقت إلى أن نتكلم ونتحدث عن **نشأة هذا العلم وتطوره**.

✓ نشأة علم "علوم القرآن" وتطوره

كل علم لا بد أن يمر بأطوار ويمر بمراحل تتنوع فيها الطرق، وتتطور من خلالها المنهجية العلمية لهذا العلم، حتى يستقر العلم وتبين حدوده، وتنضبط معالمه، وهي بلا شك مرحلة من المراحل، ثم يعقبها مرحلة أخرى فيما يتعلق بالشرح والتهذيب والاختصار، وغير ذلك. وبالنظر إلى **نشأة علم "علوم القرآن"** نجد أنه مر بمراحل، سأسرد هذه المراحل، وإن كان بعض هذه المراحل ليست مستقلة عن التي قبلها ومستقلة عن التي بعدها، قد تكون مرتبطة بالتي قبلها، وقد تكون معاصرة للتي قبلها، ولكن للمؤلفين والكتّاب الذين كتبوا عن هذا الموضوع لهم طرائق ولهم مناهج، ولكن أحببت وفضلت أن أذكرها مرحلة مرحلة، لكن مع التنبيه إلى أن هذه المراحل ليست مستقلة، فلا نقول مثلا أن القرن الأول والقرن الثاني مرحلة أولى، والقرن الرابع والقرن الخامس مرحلة ثانية، والقرن السادس والقرن السابع مرحلة ثالثة، لا، فقد تكون المرحلة الثالثة بينها وبين المرحلة التي سبقتها ارتباط، وقد تكون عاصرتها في بعض المراحل. والآن سأذكر هذه المراحل مرحلة تلو أخرى:

المرحلة الأولى: علوم القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

فقد كان القرآن الكريم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ويتلوه على أصحابه ويُعلِّمهم، وبسبب ما امتازوا به من خصائص العروبة، من قوة الحفظ وصفاء القريحة وسرعة الفهم لم يحتاجوا إلى كتابة شيء من التفسير أو علوم القرآن المتنوعة، مع أن جملة من العلوم كانت معروفة لديهم ويُدركونها ويُعايشونها بل ويلمسونها، كأسباب النزول مثلًا، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، وتجويد القراءة، ومعاني الغريب، وغير ذلك.

وأقوالهم في ذلك مشهورة معروفة؛ كقول ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه-، وقول ابن عباس رضي الله عنهما، وقول علي رضي الله عنه، أقوالهم في هذا مشهورة، ومن ذلك قول ابن مسعود -رضي الله عنه-: "ما أُنزلت آية إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته".

ويقرب منه قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقول علي -رضي الله تعالى عنه-. وتحضرني تلك القصة التي جاء يهوديّ فيها إلى عمر -رضي الله تعالى عنه-، وقال يا عمر: آية لو أنزلت علينا معشر اليهود لجعلنا ذلك اليوم عيدا، قال: أي آية؟، قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [الْمَائِدَةِ: 3]، حقيقة آية تستحق التأمل، تستحق التفكر، تستحق الإشادة بها فهذه تكريم وتقدير من الله عز وجل، {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي} وفضلي ومحبتي وتقديري {وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا}. فقال له عمر: أما والله - وهذا هو الشاهد - أما والله إني لأعلم أين نزلت، ومكان نزولها، نزلت في يوم عرفة في حجة الوداع، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم أو واقف في عرفة، مما يدل على أن الصحابة كانوا يُعايشون ويُدركون هذه العلوم، وإن لم يكتبوا أو يُقيدوا شيئا من ذلك.

المرحلة الثانية: في عهد الخلافة الراشدة

استكمالًا للمرحلة السابقة، نشأ في هذه المرحلة عدة علوم، ومن ذلك علم **"رسم المصحف"**، وعلم **"إعراب القرآن"**، وعلم **"تفسير القرآن"**، فالمصاحف التي أمر عثمان -رضي الله تعالى عنه- بنسخها تُمثل وثائق مدونة عن علم رسم المصحف، الذي له قواعده وضوابطه التي تُميزه عن الخط الإملائي المعتاد.

أيضا حلقاتُ تفسير القرآن التي يُفسر فيها الصحابي آيات من القرآن، فقد كانت ذا منهجية وعلى أصول يُفسر القرآن من خلالها كتفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن باللغة، وكيفية التعامل مع الإسرائيليات، وما سوى ذلك، فكانت لهم - رضي الله تعالى عنهم - أصول يمشون ويسيرون عليها، ويُفسرون من خلالها القرآن، إن وجدوا تفسير الآية في القرآن اكتفوا به، وإن لم يجدوا ذلك بحثوا في السنة النبوية، وهكذا.

المرحلة الثالثة: تدوين أنواع من علوم القرآن مع بداية تدوين الحديث النبوي

وذلك في رأس المائة الأولى من الهجرة، وكان أول من دوّنه: **محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري** (المُتوفى سنة 124هـ) بأمر من عمر بن عبد العزيز.

وقد اشتملت المصنفات الحديثية على كتب وأبواب تتعلق بعلوم القرآن، وإن لم يُسموها بعلوم القرآن، وكذلك ذكروا أبواب تتعلق بتفسير القرآن، فعلى سبيل المثال: الإمام البخاري في صحيحه - كتابه الصحيح - ذكر كتابًا مستقلًا وعنوَن له بفضائل القرآن، كذلك بكتاب التفسير، وكتاب فضائل القرآن هو في الحقيقة يجمع الأحاديث المتعلقة بعلوم القرآن من ناحية الوحي، ومن ناحية نزول القرآن، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، كل هذا جمعه البخاري رحمه الله تعالى في كتابه الصحيح تحت كتاب فضائل القرآن.

ومثله كذلك الإمام مُسلم رحمه الله، فإنه ذكر في آخر مصنفه كتاب التفسير، والإمام مسلم هو على الصحيح لم يُبوب الأحاديث، ولكنه هو الذي ذكر عناوين الكتب.

ومثله كذلك الإمام الترمذي، والإمام أبو داوود في سُننه، فإنه ذكر كتابًا في القراءات، وذكروا كذلك كتابًا جامعًا في التفسير، وابن ماجه والنسائي، وغيرهم.

المرحلة الرابعة: فترة تدوين علوم القرآن مع بداية تدوين الأحاديث

في فترة تدوين علوم القرآن مع بداية تدوين الحديث أُلفت مُصنفات في بعض علوم القرآن بشكل مُفرد، ومن ذلك ما كتبه يَحيى بن يَعْمُر في القراءات - ألَّف كتابًا في القراءات -، كذلك مجاهد بن جَوْر له كتاب في التفسير، كذلك لأبي عبيد القاسم بن سلّام كتاب في فضائل القرآن، وغيرهم.

يُضاف إلى ذلك الإشارة إلى إسهامات اللغويين في مثل كتب: ***معاني القرآن***، للفراء، و***مجاز القرآن***، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، و***الوجوه والنظائر***، وغيرها.

أود أن أشير إلى أن المرحلة الخامسة تتزامن مع المرحلة السابقة كما أن المرحلة السابقة تتزامن مع جزء من المرحلة التي قبلها (وهو ما أشرنا إليه في أول هذه المحاضرة)

المرحلة الخامسة: التأليف في علوم القرآن من خلال مقدمات التفسير

كفعل الإمام الطبري (المُتوفى سنة 310هـ) والماوردي، فالطبري على سبيل المثال ذكر جملة من علوم القرآن في مقدمة تفسيره، كالألفاظ التي اتفقت لغات الأمم فيها، واللغة التي نزل عليها القرآن من لغات العرب، ونزول القرآن على سبعة أحرف، ومثله كذلك الماورديّ في مقدمة تفسيره "النكت والعيون".

المرحلة السادسة: ظهور مؤلفات في أبوابٍ من علوم القرآن، لكن بدون تسميتها بعلوم القرآن

وفي هذه المرحلة تسمية العلم بعلوم القرآن لم تظهر بعد، لكن هناك مؤلفات هي في علوم القرآن ولكنها لم تُسمَّ بهذا الاسم، من مثل **الحارث المُحاسبي** (المُتوفى سنة 243هـ) في كتابه ***فهم القرآن***، ذكر جملة من علوم القرآن، ولكنه سمى كتابه بـ "فهم القرآن"، وقد أورد جملة من مباحث علوم القرآن كفضائل القرآن، وفضائل القراء، والمُحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، ومن ذلك ***جمال القراء وكمال الإقراء*** للسخاوي.

المرحلة السابعة: مؤلفات ضمت أنواعًا من علوم القرآن في ثنايا الموضوع العام الذي يتحدث عنه الكتاب

برزت مؤلفات ضمت أنواعا من علوم القرآن في ثنايا الموضوع العام الذي يتحدث عنه الكتاب، من مثل الانتصار للباقلاني ***الانتصار لصحة ناقل القرآن***، ويقصد مؤلفه الدفاع عن القرآن من كل الشكوك والشبه التي أثيرت حوله من قبل المُلحدين والرافضة.

ومن العلوم التي أوردها الباقلَّاني في كتابه: القراءات، وجمع الناس على مصحف واحد، والإعجاز، ونزول القرآن على سبعة أحرف، وكذلك من الكتب التي على هذا المنوال ***جواهر القرآن ودُرره*** للغزالي (المُتوفى سنة 505هـ)،

وذكر فيه جملة من علوم القرآن وقسّمها إلى قسمين: علم الصدف والقشر، وجعل منه: علم اللغة والنحو والقراءات وتوجيهها وعلم التفسير، وعلم اللُباب وجعل منه: القصص القرآني، وعلم الكلام، والفقه وأصوله.

وكذلك، ***قانون التأويل*** لأبي بكر بن العربي، فقد قسم علوم القرآن إلى ثلاثة أقسام: توحيد، وتذكير، وأحكام، وغيرها من المؤلفات.

المرحلة الثامنة: استقرار تسمية هذا العلم تسمية ومضمونًا من خلال الكتاب كاملًا

ومن ذلك ***فنون الأفنان في عيون علوم القرآن*** لابن الجوزي، و***المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز*** لأبي شامة (المُتوفى سنة 656هـ)، و***البرهان في علوم القرآن*** للزركشي (المُتوفى سنة 764هـ)، و***الإتقان في علوم القرآن*** للسيوطي (المُتوفى سنة 911هـ)، وللبلقيني كذلك كتاب ***مواقع العلوم من مواقع النجوم*** (والمُتوفى سنة 824هـ)، ثم توالت بعد ذلك الكتب التي تطابق فيها المضمون والعنوان، سُميت بعلوم القرآن، ويُذكر فيها جملة من العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، كالإمام السيوطي، وكالكتب التي جاءت بعد ذلك في هذا العصر - في وقتنا المعاصر- ، ككتاب ***مناهل العرفان*** للزرقاني، وكذلك ***مباحث في علوم القرآن***، و***دراسات في علوم القرآن***، و***المدخل إلى دراسة علوم القرآن***، وغير ذلك من الكتب، فاستقر تسمية هذا العلم اسمًا ومحتوىً، اسمًا ومضمونًا، وسُمِّيَ بـ"**علوم القرآن**".

✓ **عدة ملحوظات على تطور علم "علوم القرآن"**

- **أولًا: توجد مُسمَّيات لكتب باسم علوم القرآن**، توجد كتب باسم علوم القرآن أو علم القرآن أو علم التنزيل، **لكنها في الحقيقة هي ليست في ذات العلم**، وإن كانت تشتمل على جزءٍ منه، فقد يُسمِّي الإمام والعالم كتابه بعلم القرآن أو في علم القرآن أو علوم القرآن، ولكنه في الحقيقة ليس كتابًا في علوم القرآن من ناحية المصطلح الذي نتكلم عنه، وعلى سبيل المثال: أبو الحسن الأشعري له كتاب ***المُختزن في علوم القرآن*** وهو كتاب في التفسير، كذلك للأدفوي ***الاستغناء في علوم القرآن***، وهو تفسير كذلك يهتم بالأثر والعربية والقراءات ويذكر شيئا من علوم القرآن، وكذلك ***التفصيل الجامع لعلوم التنزيل*** للمهدوي، وهو كذلك كتاب في التفسير. فبمجرد التسمية لا تكفي للحكم على أن الكتاب من المؤلفات في علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي.
- **ثانيًا: لعل أَسْبَق من ألَّف في هذا العلم كتابًا مستقلًا**، وإن لم يُسمِّه باسمه الاصطلاحي هو **الحارث المُحاسبي** (المُتوفى سنة 243هـ) في كتابه ***فهم القرآن***، لم يُسمه بعلم القرآن ولا علوم القرآن وإنما يُسمى بفهم القرآن.

- **ثالثًا:** أمَّا **ظهور مصطلح علوم القرآن في العنوان والمحتوى** فقد تأخر قليلًا إلى أواخر القرن الرابع ومطلع القرن الخامس، وبدأ في مؤلَّف **ابن حبيب النيسابوري** (المُتوفى سنة 406هـ) في كتابه ***التنبيه على فضل علوم القرآن***.
- ثم تتابعت التسمية والمضمون في المؤلفات المتأخرة؛ ككتاب ***فنون الأفنان في عيون علوم القرآن*** لابن الجوزي، وكتاب أبي شامة، والزركشي، والسيوطي ***الإتقان في علوم القرآن***، ومن بعدهم.

✓ أهم المؤلفات التي ألفت في هذا العلم

أختم هذه المحاضرة بذكر أهم المؤلفات التي ألفت في هذا العلم، وهذه المؤلفات مطبوعة ومتوفرة وموجودة بين أيدينا، ومن هذه المؤلفات:

- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، ابن الجوزي
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبي شامة
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي
- مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني
- المدخل لدراسة القرآن، أبي شهبة
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح
- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان
- دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي
- المحرر في علوم القرآن، مساعد الطيار
- المُقدمات الأساسية في علوم القرآن، يوسف الجديع
- علوم القرآن بين البرهان والإتقان، حازم حيدر
- وغيرها من الكتب الكثيرة التي لن يُعدم القارئ والمطالع والدارس من أن يخرج بحصيلة علمية مفيدة بإذن الله عز وجل عند مطالعته ورجوعه إلى هذه الكتب العظيمة، التي أسأل الله عز وجل أن ينفع بها، وأن يرحم مُؤلفيها، ويحفظ الأحياء منهم.

وبإذن الله عز وجل المرجع الأساس في هذا المقرر هو كتاب ***دراسات في علوم القرآن***، **للدكتور فهد الرومي**.

هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **إسراء الزعيم**

قام بالمراجعة الأولى والتدقيق: **أحمد عبد الرحمن**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**



علوم القرآن

د. عمر عبد العزيز الدهيشي

المحاضرة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

باديء ذي بدء أحيي الجميع بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أسأل الله عز وجل أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح وبإذن الله عز وجل في هذه المحاضرة والمحاضرات التي تليها سندلف إلى صلب هذا العلم ونفتتح حديثنا في هذا المقرر بعلم الوحي.

علم الوحي

وإذا تأملنا ونظرنا في كتب علوم القرآن الأخرى وعلوم القرآن المتفرقة والمتنوعة نجد أنهم اختلفوا في البداءة بأي علم من علوم القرآن، فمنهم من ابتدأ بالمكي والمدني، ومنهم من ابتدأ بأسباب النزول، ومنهم من ابتدأ بنزول القرآن، ومنهم من ابتدأ بالوحي، ولا إشكال في ذلك إذ هي مسألة اجتهاد ونظر وتأمل، وتختلف فيها وجهات النظر، أما نحن بإذن الله عز وجل في هذه الأكاديمية المباركة، سنفتتح الحديث عن علوم القرآن بهذا العلم وهو علم الوحي، وذلك استئناسًا إلى أن هذا العلم هو، حقيقة، من حيث الوجود هو أول علمٍ وُجد، فنزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم تلاه ابتداء نزول القرآن، ونزول القرآن كذلك شاركه أسباب النزول، والمكي والمدني، ونزول القرآن على سبعة أحرف، وغير ذلك، **فالوحي هو أول العلوم من حيث الوجود**، فارتأيت أن نبتديء بهذا العلم وهو علم الوحي.

✓ تعريف الوحي لغةً واصطلاحاً

الوحي في اللغة: هو إلقاء علمٍ في خفاء، ومن معاني الوحي في اللغة، الإشارة، والكتابة، والرسالة وذلك على وجه السرعة، فأوحى إليهم أي: أشار،

الوحي في الاصطلاح: أما عن معنى الوحي في الشرع وفي الاصطلاح هو إعلام الله سبحانه وتعالى لنبيٍ من أنبيائه بكيفية معينة بنبوته وما يتبعها من أوامر ونواهي وأخبار وقصص. إعلام الله سبحانه لنبيٍ من أنبيائه بكيفية معينة، وهذه الكيفية سنذكر طرفًا منها في تضاعيف محاضرتنا هذه بإذن الله تعالى، وما يتبعها من أوامر ونواهي وأخبار، وكما تعلمون أن هذه الأوامر والنواهي والأخبار قد يكون مصدرها من القرآن الكريم، وقد يكون مصدرها من السنة النبوية، فالوحي يشمل الوحي بالقرآن، كما يشمل الوحي بالسنة النبوية، الله عز وجل قال عن السنة النبوية: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [سورة النجم : 4]، **فالوحي يشمل الوحي بالقرآن ويشمل كذلك الوحي بالسنة النبوية.**

✓ أقسام الوحي

ننتقل الآن إلى النقطة الثانية من محاضرة اليوم وهي أقسام الوحي. يمكن أن نقسم الوحي إلى قسمين:

القسم الأول: الوحي اللغوي: أي الوحي بمعناه في اللغة، وهو يشمل عدة أنواع، كما ذكرت قبل قليل، أن الوحي في اللغة إلقاء علم في خفاء وله أنواع، ومن ذلك:

1. **الإلهام الفطري للإنسان**، ومثاله: ما ذكره الله عز وجل في سورة القصص: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ...﴾ [الْقَصَصِ : 7]، وهذا كما ذكر العلماء هو إلهام فطري للإنسان.
2. كما أن الوحي كذلك يكون **بالإلهام الغريزي للحيوان** ومثاله: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ﴾ [سورة النحل] ومعنى الوحي هنا: هو الإلهام الغريزي وهو من أنواع الوحي اللغوي.
3. كذلك من أنواع الوحي اللغوي: **الأمر الكوني للجمادات** كما في سورة الزلزلة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (5) ﴾، فهذا من الأمر الكوني للجمادات.
4. كذلك من أنواع الوحي اللغوي: **وسوسة الشيطان** وتسمى في اللغة بالوحي، كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ .... ﴾ [سورة الأنعام : 121].
5. كذلك من أنواع الوحي اللغوي: **الإشارة بجارحة من الجوارح**، كما قال الله عز وجل: ﴿..... فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [سورة مريم : 11].

هذه بعض من أنواع الوحي اللغوي وهو يندرج تحت القسم الأول من أقسام الوحي.

القسم الثاني: الوحي الشرعي: وأنواعه ذكرها الله عز وجل في سورة الشورى في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشُّورَى : 51]، سبحانه. في هذه الآية أنواع من الوحي الشرعي، جمع الله تعالى فيها أنواع الوحي الشرعي وهذه الأنواع اشتملت على صور متعددة وهي كما يلي:

1. **النوع الأول**: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾: المراد بالوحي في هذه الآية يدخل ضمنه عدة أنواع منها:

(أ) الرؤيا في المنام: فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: "كان أول ما بديء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" الحديث متفق عليه، الوحي الشرعي عن طريق الرؤيا في المنام كانت في بدايات البعثة النبوية واستمر ذلك قرابة ستة أشهر والله أعلم.

(ب) **النفث في الروع**: ويدخل هذا النوع أيضاً ضمن معنى قوله عزوجل: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾، ودليله: عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينِ نَفَثَ في رَوْعِي :أنَّ نَفْسًا لا تَمُوتُ حتى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا ، فَاتَّقُوا اللهَ و أَجْمِلوا في الطَلَبِ .... " الحديث، الشاهد في الحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم: "وإن الروح الأمين - أي جبريل عليه السلام - **نفث في روعي**" والروع هو: القلب والعقل، والمعنى: أن جبريل نفث في خلدي وبالي.

هذان النوعان يندرجان تحت قوله عزوجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾.

2. **النوع الثاني**: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾: وحي الله عز وجل إلى رسوله من خلال أن يكون من وراء حجاب، وهذا النوع يكون في اليقظة، كما يكون في المنام.

- **دليل اليقظة:** هو ما جاء في حديث الإسراء والمعراج الطويل وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فأوحى الله إلي ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة. فنزلت إلى موسى صلى الله عليه وسلم. فقال : ما فرض ربك على أمتك؟ قلت خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب ! خفف على أمتي . فحط عني خمسا . فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمسا، قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد ! إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة. قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه" . الحديث رواه الإمام مسلم. هذا الكلام وهذه المراجعة بين الله عز وجل ورسوله، كانت في ليلة المعراج، معراج النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء، وكانت **في اليقظة** كما هو ظاهر في الحديث.

- **دليل المنام**: كذلك تكون مكالمة بين الله عز وجل ورسوله من وراء حجاب عن طريق المنام، ودليله ما جاء في حديث اختصام الملأ الأعلى، حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عن،ه وفيه قال صلى الله عليه وسلم: "إني قمتُ في الليلِ، فتوضَأْتُ، وصليتُ، ما قُدِّرَ لي ، فنَعَسْتُ في صلاتي حتى استَثْقَلْتُ، فإذا أنا بربِّي - تبارك وتعالى - في أحسنِ صورةٍ! فقال: يا محمدُ، فقلت: لبيك! قال: فيم يَختصِمُ الملأُ الأعلى ؟ قلتُ: ما أدري ثلاثًا" الحديث. والنعاس هو أول النوم. هذه المكالمة هي بين الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولكنها ليست في اليقظة وإنما في المنام.

هذا هو النوع الثاني من أنواع الوحي الشرعي وهو أن يكون من وراء حجاب.

3. **النوع الثالث: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾:** كجبريل عليه السلام أو غيره من الملائكة، وجبريل عليه السلام قد أوكل إليه الإرسال بالوحي، ومجيء الوحي عن طريق جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم له أحوال كثيرة وصور متعددة، جاء عليها الروح الأمين إلى خير المرسلين صلى الله عليه وسلم، ومن بين تلك الأحوال التي جاء فيها الروح الأمين، نزل القرآن الكريم، القرآن الكريم لم ينزل في كل مرة نزل فيها جبريل عيله السلام، وإنما نزل جبريل بالقرآن في أحوال معينة، وسنذكرها بإذن الله عز وجل في هذه المحاضرة. وقد صاحب نزول جبريل بالوحي أحوال وتغيرات من لدن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الأحوال وتلك التغيرات هي متعددة ومتنوعة، وسنذكرها بإذن الله عز وجل على وجه الإختصار.

وحتى يكون كلامنا متصلا، ذكرنا أنواع الوحي اللغوي، ثم أنواع الوحي الشرعي، وقلنا أن من أنواع الوحي الشرعي، أن يرسل رسولا، والرسول قد يكون جبريل أو غيره من الملائكة، ولهم أحوال يأتون بها، ومن أعظم الرسل من الملائكة وأفضلهم، هو جبريل عليه السلام، وهو الذي نزل بالقرآن الكريم، وليس كل ما نزل به جبريل عليه السلام هو القرآن، كلا، فقد ينزل بالسنة، وقد ينزل بالقرآن، وقد ينزل بغير هذين.

- ✓ **أحوال نزول جبريل عليه السلام بالوحي:**

جبريل عليه السلام نزل بالوحي إلى نبينا صلى الله عليه وسلم على هيئات متنوعة وصور متعددة، مجموعها ثلاث أحوال:

1. **الحالة الأولى: مجيء جبريل عليه السلام إلى نبينا صلى الله عليه وسلم على صورته التي خُلق عليها، أو قريبًا منها:** "عن مسروق قال: كنتُ متَّكئًا عندَ عائشةَ فقالَت : يا أبا عائشةَ ثلاثٌ مَن تَكَلَّمَ بواحدةٍ منهنَّ فقد أعظمَ علَى اللهِ الفريةَ، قلتُ: ما هنَّ؟ قالت : مَن زعمَ أنَّ محمَّدًا صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ رأى ربَّهُ فقد أعظمَ علَى اللهِ الفريةَ، قالَ: وَكُنتُ متَّكئًا فجلَستُ، فقلتُ: يا أمَّ المؤمنينَ ! أنظِريني ولا تُعجِليني، ألم يقلِ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: 23]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم :13]؟ فقالت: أَنا أوَّلُ هذِهِ الأمَّةِ سألَ عن ذلِكَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، فقالَ : إنَّما هوَ جبريلُ، لم أرَهُ علَى صورتِهِ الَّتي خُلِقَ عليها غيرَ هاتينِ المرَّتينِ، رأيتُهُ منهبطًا منَ السَّماءِ سادًّا عِظَمُ خلقِهِ ما بينَ السَّماءِ إلى الأرضِ، فقالت: أوَ لم تَسمعْ أنَّ اللهَ يقولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: 51]؟ قالَت: ومن زعمَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ كتمَ شيئًامن كتابِ اللهِ، فقد أعظمَ علَى اللهِ الفريةَ، واللهُ يقولُ : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: 67]، قالت: ومن زعمَ أنَّهُ يخبرُ بما يَكونُ في غدٍ، فقد أعظمَ علَى اللهِ الفريةَ، واللهُ يقولُ : ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل:65]". الحديث رواه الإمام مسلم.

من خلال هذا الحديث ذكرت عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام على صورته التي خلق عليها مرتين، كما هو صريح في هذا الحديث. وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورته أو قريبًا منها، أول البعثة المحمدية وذلك في غار حراء، كما في حديث عائشة رضي الله عنها:

"أولُ مَا بُدِئَ به رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من الوَحْيِ **الرؤيا الصادِقَةُ في النَّوْمِ**، فكان لا يَرَى **رؤيا** إلا جاءتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فكان يأتِي حِرَاءً فيَتَحَنَّثُ فيه، وهو التَّعَبُّدُ، اللياليَ ذواتِ العَدَدِ، ويَتَزَوَّدُ لذلك، ثم يَرْجِعُ إلى خديجَةَ فتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِها، حتى فَجِئَهُ الحقُّ وهو **في** غارِ حِرَاءٍ، فجاءه المَلَكُ فيه، فقال: اقْرَأْ، فقال له النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : (فقُلْتُ: ما أنا بِقَارِئٍ، فأخَذَني فغَطَّني حتى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثم أَرْسَلَني فقال: اقْرَأْ، فقُلْتُ: ما أنا بِقَارِئٍ، فأَخَذَني فغَطَّني الثانيةَ حتى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثم أَرْسَلَني فقال: اقْرَأْ، فقُلْتُ: ما أنا بِقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثالثةَ حتى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثم أَرْسَلَنِي فقال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} - حتى بَلَغَ - {عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} فرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوادِرُهُ، حتى دَخَل على خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زَمِّلوني زَمِّلوني» فزَمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوْعُ..." الحديث في صحيح البخاري.

ولعلنا نواصل الحديث عن هذه المسألة لأن الكلام سيطول فيها قليلا، فلعلنا نُرجِئها إلى المحاضرة القادمة بإذن الله عز وجل، أسأل الله عز وجل لي ولكم التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **إيمان عثمان**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**



علوم القرآن

د. عمر عبد العزيز الدهيشي

المحاضرة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد. أسأل الله عز وجل التوفيق والتسديد في القول والعمل. ونستكمل ما قد بدأناه في المحاضرة الماضية حول:

✔ **أحوال نزول جبريل -عليه السلام- بالوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم:**

وقد ذكرنا في المحاضرة السابقة **الحالة الأولى**: وهي **مجيء جبريل -عليه السلام- على صورته التي خلقه الله عز وجل عليها أو قريبا منها**، واستدللنا بحديث عائشة -رضى الله تعالى عنها-، في قولها -رضى الله تعالى عنها- عندما سألها مسروق عن قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: 23]، وقوله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: 13]، فقال: "إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين ..." الحديث.

وهنا قد يسأل سائل ويستشكل مستشكل عن الحالة الأولى التي نزل جبريل -عليه السلام- أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فيها، وذلك في غار حراء، التي صاحبها غطٌ، وغتٌ، وضمٌ، كما في حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها-، في قوله صلى الله عليه وسلم: "حتى بلغ مني الجهد" أي: الشدة. فهذا يدل على أن نزول جبريل -عليه السلام- في غار حراء كانت على صورةٍ محسوسةٍ، وعلى صورةٍ ملموسةٍ، وهذا ما نستفتح به محاضرتنا لهذا اليوم.

على أي صورة كان مجيئ جبريل -عليه السلام- أول ما جاء النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء؟

نذكر حديث عائشة رضي الله تعالى عنها في أول بداية الوحي، تقول رضي الله تعالى عنها: " أَوَّلُ مَا بدئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْوَحْيِ الرؤيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ، اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ؛ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ. قَالَ: مَا أَنَا بقارئ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ: مَا أَنَا بقارئ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بقارئ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق 1-5] "، الحديث رواه [البخاري: باب بدء الوحي]

فهذا النزول هو النزول الأول لجبريل -عليه السلام- على نبينا صلى الله عليه وسلم، هو بلا شك أول مرة ينزل جبريل -عليه السلام- إلى نبينا صلى الله عليه وسلم كما هو واضح وظاهر من هذا الحديث، ولكن قبل هذه الحادثة (وهي نزول جبريل في غار حراء) سبقتها مقدمات كالتوطئة والتمهيد لرؤية الملك حقيقة ومباشرة، ومن ذلك الرؤيا الصالحة الصادقة، كما ذكرت عائشة -رضي الله تعالى عنها-، أيضا سماع الصوت، ورؤية الضوء والأدلة على ذلك :

- ما أخبرنا عنه ابن عباس -رضي الله تعالى عنه-، في قوله: "أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمسة عشرة سنة يسمع الصوت، ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا، وثماني سنين يوحى إليه"،
- وقال ورقة بن نوفل عندما عرضت عليه خديجة -رضي الله تعالى عنها- ما يرى وما يسمع وذلك قبل البعثة: "إن يكن صادقا فإن هذا ناموس مثل ناموس موسى، فإن بعث وأنا حي فسأعزره وأنصره وأومن به... " الحديث.
- قال القاضي عياض: "يسمع الصوت أي: صوت الهاتف به من الملائكة، ويرى الضوء أي: نور الملك، وأنوار آيات الله حتى رأى الملك بعينه وشافهه في غار حراء في وحي ربه" انتهى كلامه.

كيف يمكن أن نجمع بين رواية جابر ورواية عائشة حول رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل؟

دل حديث جابر بن عبد الله أن **مجيء جبريل -عليه السلام- في غار حراء كان على هيئة مرئية وصورة محسوسة**، رءاه فيها النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، ولذلك حصل الغَتُّ والغَطُّ، ورجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى زوجه خديجة -رضي الله عنها- ترجف بوادره من هول ما رأى وحصل. يدل عليه ما رواه جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " ثم فتر عني الوحي فترة، فبينا أنا أمشي سمعت صوتًا من السماء، فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك - الذي جاءني بحراء - قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجُئِثت منه (أي: فزعت) حتى هويت (أي: سقطت) إلى الأرض، فجئت أهلي، فقلت: زمّلوني، زملوني..." الحديث، رواه البخاري. هذا يدل والله أعلم على أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل -عليه السلام- في غار حراء في أول البعثة على صورته التي هو عليها، أو قريبا منها، والله أعلم. وقد استدللنا بحديث عائشة -رضي الله تعالى عنها- (في المحاضرة السابقة) وأنها تجزم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل عليه السلام- إلا مرتين ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: 23]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾، [النجم: 13]. "عن مسروق قال: كنتُ متَّكئًا عندَ عائشةَ فقالَت

: يا أبا عائشةَ ثلاثٌ مَن تَكَلَّمَ بواحدةٍ منهنَّ فقد أعظمَ علَى اللهِ الفريةَ، قلتُ: ما هنَّ؟ قالت : مَن زعمَ أنَّ محمَّدًا صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ رأى ربَّهُ فقد أعظمَ علَى اللهِ الفريةَ، قالَ: وَكُنتُ متَّكئًا فجلَستُ، فقلتُ: يا أمَّ المؤمنينَ ! أنظِريني ولا تُعجِليني، ألم يقلِ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: 23]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم :13]؟ فقالت: أنا أوَّلُ هذِهِ الأمَّةِ سألَ عن ذلِكَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، فقالَ : إنَّما هوَ جبريلُ، لم أرَهُ علَى صورتِهِ الَّتي خُلِقَ عليها غيرَ هاتينِ المرَّتينِ..... " الحديث. فكيف يمكن أن نجمع بين رؤيته في غار حراء، وقول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: "لم أره (يعني جبريل) على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين"،

كيف نجمع بين الرؤية في حديث جابروبين هذا الحديث؟

يمكن أن نجمع بينهما بأن النبي -عليه الصلاة والسلام- لم ير جبريل -عليه السلام- في غار حراء على تمام صورته وكمالها، ولكن رءاه على صورة قريبة منها. قال ابن حجر في هذا السياق: "وتكون هذه المرة -أي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في غار حراء- غير المرتين المذكورتين، وإنما لم يضمَّها إليهما لاحتمال ألا يكون رءاه فيها على تمام صورته، والعلم عند الله" انتهى كلامه -رحمه الله -هذا توجيه وجمع بين الحديثين وبين الحادثة.

هذه الحالة الأولى وهي مجيء جبريل -عليه السلام- على صورته التي خُلق عليها.

الحالة الثانية: مجيء جبريل -عليه السلام- على هيئة ملكية ملائكية

الملائكة، كما هو معلوم عندكم، عالم غيبي خلقوا من نور، فهم أجسام نورانية لطيفة والعباد لا يستطيعون رؤيتهم إلا إذا تمثل الملك في سورة بشر، سوى النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أُعطي القدرة على رؤية الملائكة، وأعطي كذلك القوة على محادثتهم والإحساس بهم. وقد نزل جبريل -عليه السلام- على نبينا صلى الله عليه وسلم بهيئته الملكية والملائكية في صور كثيرة، أما كيفية هذا النزول علمه عند الله عز وجل

لكن هذه حالة من أحوال نزول جبريل بالوحى، ولهذا النزول، النزول الملائكي له صور، منها:

1. **إتيان جبريل -عليه السلام- على مثل صلصلة الجرس**: والصلصلة هي صوت الحديد إذا حرك، يقال صَلَّ الحديد وصلصل، وقيل هو صوت متدارك لا يدرك في أول وهلة، والجرس: هو الجلجل هو الذي يعلق في رؤوس الدواب من الجرس. "عن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي

الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا" الحديث متفق عليه واللفظ للبخاري. وقوله صلى الله عليه وسلم: صلصلة الجرس؛ أي صوت متدارك يسمعه ولا يثبته عند أول ما يسمعه حتى يتفهم ويستثبت فيتلقفه حينئذ ويعيه. هذا الصوت (صلصلة الجرس) هو صوت الملك بالوحي، كما هو صريح في حديث ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه-، وفيه قال صلى الله عليه وسلم: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل حتى إذا جاءهم جبريل فُزِّع عن قلوبهم قال فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك فيقول: الحق فيقولون: الحق الحق ". (الحديث) رواه [أبو داوود في السنن].

ونزول جبريل -عليه السلام- على هذه الصورة وعلى هذه الحالة، الحالة الملائكية بهذه الصورة قد يسمع من حول النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من ذلك، سماعا، أما الرؤيا فلا ينظرون إلى الملك. لأن الملائكة عالم غيبي خلقوا من نور، هم أرواح، وقد أعطوا القدرة على التمثل كما في نزول جبريل -عليه السلام-، ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم على صورته التي خلقه الله عز وجل عليها. أقول: قد يسمع من حول النبي صلى الله عليه وسلم، شيئا من ذلك كما هو في حديث عمر -رضي الله تعالى عنه- وفيه: "إذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل..." الحديث، رواه أحمد والترمذي، دوي النحل هو بالنسبة إلى الصحابة، والصلصلة بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

الأحوال والعلامات التي تظهر على النبي صلى الله عليه وسلم عندما يأتيه جبريل في حالته الملائكية:

- إتيان جبريل -عليه السلام- إلى النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه الحال، أعني الحالة الملائكية، يكون على وجه الاختفاء حتى أنه لا يشعر به من حوله إلا بالعلامات التي تظهر على وجه النبي صلى الله عليه وسلم، كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها، وكذلك في أحاديث كثيرة يذكر الصحابة بعضًا من تلك العلامات التي تحصل للنبي صلى الله عليه وسلم حال نزول الوحي عليه. ومن ذلك قول عائشة: "وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا" رواه [البخاري: باب بدء الوحي].
- وفي حديث الإفك "فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه" [البخاري: كتاب المغازي].

- وفي حديث زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه، وفيه: "فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي فَثَقُلَتْ عَلَيَّ، حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ". الحديث، [البخاري: كتاب التفسير].
- الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يعلمون نزول الوحي إذا رأوا تلك العلامات، وذلك التأثر على النبي صلى الله عليه وسلم، وفي قوله صلى الله عليه وسلم: (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي)، [البخاري: كتاب تفسير القرآن] دلالة على أن الوحي كله شديد، وأن هذه الحالة هي أشهرها، وذلك -والله أعلم- ليتفرغ السمع والقلب ولا يبقى فيه مكانٌ لغير صوت الملك.
- **وهذه الحال هي ليست مختصة بالقرآن، فتأتي بالقرآن وتأتي بالسنة النبوية**، كما هو صريح في حديث يعلى بن أمية: عندما جاء ذلك الرجل وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أثر الطيب إذا أصاب الإحرام، قال: نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، فغطي بستر، في غطاء، وكان إذا نزل الوحي فعل الصحابة رضوان الله عليهم ذلك؛ أنهم يجعلون سترا وغطاءً بين النبي صلى الله عليه وسلم والناس، فقال يعلى بن أمية: "وَدِدْتُ أَنِّي أَرَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، قَالَ فَقَالَ: أَيَسُرُّكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ؟ قَالَ: فَرَفَعَ عُمَرُ طَرَفَ الثَّوْبِ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ لَهُ غَطِيطٌ ..." الحديث، [رواه مسلم: كتاب الحج].
- فالصحابة رضوان الله تعالى عليهم لم يروا جبريل -عليه السلام- بأعينهم، وإنما علموا ذلك بالحالات التي كانت تعتري النبي صلى الله عليه وسلم. فنزول جبريل على هذه الحال، الحالة الملائكية والحالة الملكية هو يكون بالقرآن كما يكون بالسنة النبوية.
- نعود لحديثنا (حديث الحارث بن هشام) وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: "أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي"، يدل على أن **الوحي كله شديد**، ولكنها قد يكون بعضها شديد قوة، وقد يكون بعضها متوسط، وقد يكون بعضها خفيف، ولكن الجامع بينها الشدة.

2. من صور نزول جبريل عليه السلام على الحالة الملائكية وعلى الحالة الملكية: **الاختفاء والمساررة دون أن يشعر به أحد، ولا يحدث تغير على جسد النبي صلى الله عليه وسلم**، فربما جاء جبريل -عليه السلام- إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم وساره من دون أن يشعر به من حوله، من دون أن يحدث له تغير على جسده الشريف عليه الصلاة والسلام، دليله: "قال أبو سلمة إن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يا

عائش هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى؟ تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم" [رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة].

3. كذلك من صور مجيئه على الحالة الملائكية: **مجيئه في سحابة بين السماء والأرض**، وقد سبق ذكر الحديث في ذلك.

ذكرنا من أحوال مجيء جبريل -عليه السلام- إلى النبي صلى الله عليه وسلم حالتان: **الحالة الأولى**: أن يأتيه على الصورة التي خلقه الله عليها، **الحالة الثانية**: أن يأتيه على الحالة الملائكية، ويعلمون الصحابة رضوان الله عليهم، يعلمون نزول الوحي بالأحوال التي كانت تعتري النبي صلى الله عليه وسلم والتي تظهر على جسده، وعلى وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم.

الحالة الثالثة: **مجيء جبريل -عليه السلام- على هيئة رجل**

الله عز وجل أعطى الملائكة القدرة على أن يتشكلوا بغير أشكالهم، ومن ذلك مجيئهم على هيئة البشر بأوصاف الرجال، يدل على ذلك حديث عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ **وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ** قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا " [البخاري: باب بدء الوحي]، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: إنما ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجال.

وقد جاء جبريل -عليه السلام- إلى النبي صلى الله عليه وسلم على هيئة رجل في صور كثيرة منها: بأوصاف الرجال وهيئاتهم وأحوالهم كما في حديث سؤال جبريل -عليه السلام- للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام، وعن الإيمان، وعن الإحسان، وقد وصفه الصحابة رضوان الله عليهم قالوا: "بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : " يا محمد أخبرني عن الإسلام " ، فقال له : (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا) ، قال : " صدقت " ، فعجبنا

له يسأله ويصدقه ، قال : " أخبرني عن الإيمان " قال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره) ، قال : "صدقت" ، قال : " فأخبرني عن الإحسان " ، قال : (أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ، قال : " فأخبرني عن الساعة " ، قال : (ما المسؤول بأعلم من السائل) ، قال : " فأخبرني عن أماراتها " ، قال : (أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء ، يتطاولون في البنيان) ثم انطلق فلبث مليا ، ثم قال : (يا عمر ، أتدري من السائل ؟) ، قلت : "الله ورسوله أعلم " ، قال : (**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**) " [رواه مسلم]، ثم بعد ذلك قال صلى الله عليه وسلم :هذا جبريل جاء **يعلمكم** أمر دينكم. فجبريل -عليه السلام- جاء في صورة هذا الرجل الذي ذكر الصحابة رضوان الله عليهم أوصافه عليه السلام.

كذلك قد يجئ جبريل -عليه السلام- **على صورة أحد من الصحابة**، وقد يتمثل جبريل -عليه السلام- **على صورة دحية الكلبي** -رضي الله عنه-، وكان دحية رضي الله تعالى عنه وجهه صبيحا وهيئته حسنة، فكان جبريل -عليه السلام- يأتي على صورته كثيرا، وكان رضي الله عنه من أجمل الناس وأحسنهم صورة.

هذه أحوال جبريل -عليه السلام- عند نزوله بالوحي.

نأتي إلى مسألة مهمة ونقطة بالغة الأهمية وهي: نزول جبريل -عليه السلام- بالوحي قد يكون بالقرآن، وقد يكون بالسنة، فيا ترى نزول جبريل -عليه السلام- بالقرآن على أي حالة من الأحوال الثلاثة؟ هذا ما سنذكره بإذن الله عز وجل في المحاضرة القادمة.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **صفاء بودي**

قام بالمراجعة الأولى والتدقيق: **خلدون الأتاسي**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**



علوم القرآن

د. عمر عبد العزيز الدهيشي

المحاضرة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فنستكمل ما قد بدأناه في الحديث عن علم الوحي؛ العلم الأول من علوم القرآن.

ونأتي بعد أن ذكرنا أحوال نزول الوحي – من جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم - ، وقلنا:

إن جبريل -عليه السلام- كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم على أحوال ثلاثة:

- **الحالة الأولى:** أن يأتيه على صورته التي خلقه الله عز وجل عليها.

- **الحالة الثانية:** أن يأتيه على هيئة ملائكية أو ملكية.

- **الحالة الثالثة:** أن يأتيه على صورة بشر، ومجيئه عليه السلام على صورة بشر قد تكون على صورة أحد الصحابة وقد يكون على غيرها.

✓ على أي صورة من صوره الثلاثة نزل جبريل -عليه السلام- بالوحي القرآني

نأتي الآن إلى مسألة مهمة، وهي أنه كما قررنا أن نزول الوحي قد يكون بوحي القرآن وقد يكون بوحي السنة. فيا تُرى نزول جبريل عليه السلام بالوحي القرآني يكون على أية حالة من الأحوال الثلاثة؟

نقول - والعلم عند الله عز وجل: **إن نزول جبريل عليه السلام بالوحي القرآني يكون على الحالة الثانية**؛ وهي مجيئه على هيئته الملائكية، **ولا يمنع أن هذه الحالة يأتي منها القرآن ويأتي منها السنة**. ولكن القرآن الكريم كله نزل به جبريل عليه السلام وهو على هيئة ملكية، ومن خلال البحث في السنة النبوية والقراءة والمطالعة فيها، لم أعثر حقيقةً على آية أو على حالة نزل جبريل عليه السلام بالقرآن على صورة بشر، على هيئته - التي يجيئها على هيئة بشر. كلها مجيئه على هيئته الملائكية، **إلا في نزول جبريل أول ما نزل**: نزوله بـ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [الْعَلَقِ: 1- 5]، نقول - والعلم عند الله -: **إن نزوله في هذه الحالة الأولى كان على صورة مرئية وعلى صورة محسوسة**، كما قررْتُ ذلك في الحديث عن الحالة الأولى، فنقول: إن نزول جبريل عليه السلام بالقرآن يكون على الحالة الثانية، ويُلحق بها الحالة الأولى في نزوله أول ما نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه جمع بين تلك الأحوال المختلفة. والعلم عند الله عز وجل، وقد سبق أن أشرنا إلى كلامٍ لابن حجر – رحمه الله – يؤيد هذا.

فمجيء جبريل عليه السلام في غار حراء قد تكون **على هيئته التي خلقه الله عزوجل عليها أو قريبًا منها**.

نأتي الآن إلى إشكال وهو قد يقول قائل: "ذكرتَ لنا عدة أحوال ولكل حال صور متعددة، والنبي صلى الله عليه وسلم في حديث الحارث بن هشام عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم: "كيف يأتيك الوحي؟ قال: "أحيانًا يأتيني في مثل صلصلة الجرس، وأحيانًا ملك في مثل صورة الرجل فأعي ما يقول". فالنبي صلى الله عليه وسلم حصر الوحي في هاتين الصورتين، فكيف تشعبت بنا في هذه الأحوال وفي تعداد الصور المتعددة؟ نقول: هذه الصور وهذه الأحوال هي ليست من تلقاء نفسي وإنما هي من مجموع الأحاديث الواردة في الوحي؛ ولهذا لا نذكر حالة ولا صورة إلا ونستشهد لها بالأحاديث الصحيحة.

كيف نجمع بين الصور المتعددة لنزول جبريل بالوحي، وبين قول النبي صلى الله عليه وسلم في حصر الوحي بهاتين الحالتين أو بهاتين الصورتين؟

- اجتهد العلماء في ذلك فقالوا: هاتان الحالتان - أحيانًا مثل صلصلة الجرس، وأحيانًا ملك يتمثل لي في صورة رجل - أنها هي الأغلب، ولا يمنع أن يأتي في صور غيرها، أو حُمل ما يغايرهما على أنه وقع بعد السؤال: بعد سؤال الحارث بن هشام للنبي صلى الله عليه وسلم.
- وبعضهم قال: قد يكون السؤال عما في اليقظة أو أن الرؤية قد يشركه فيها غيره، بخلاف الصورتين المذكورتين في الحديث.
- أو لعله عليه الصلاة والسلام عَلِم أن قصد السائل بسؤاله ما خص به ولا يعرف إلا من جهته. هذه اجتهادات من العلماء في توجيه حديث الحارث بن هشام – رضي الله عنه.
- ويمكن أن يُقال في **حصر الوحي على هاتين الصورتين أنه حصر حقيقي لأحوال الوحي الذي يكون على الحالة الملائكية**؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "كل ذلك يأتيني الملك". وتوجيه ذلك أن الوحي إما أن يأتي ظاهرًا يراه الناس، ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم: "يتمثل لي الملك رجلا" بأي صورة كانت، وإما أن يكون خفيًا لا يراه الناس وأُعطي النبي صلى الله عليه وسلم القدرة والقوة على رؤيته والإحساس به، ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم: "أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس"، فهو كالمثال على الاختفاء، ويدخل ضمن هذه الصورة الحالة الأولى؛ وهي مجيئه على صورته التي خُلق عليها أو قريبًا منها، والله تعالى أعلم. وقلت: هذا لأن هذا الصريح في بعض ألفاظ الحديث، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "كل ذلك يأتيني". فالنبي صلى الله عليه وسلم اكتفى بالإشارة إلى حال الاختفاء وإلى حال الظهور ورؤية الناس لجبريل عليه السلام، وذلك إذا جاء بصورة البشر، هذا ما تيسر ذكره وقوله في هذا العلم – علم الوحي.

وندلف بعد ذلك إلى **نزول القرآن**؛ فهو - من حيث الزمن - هذا العلم هو ثاني العلوم من حيث النشأة، وأول العلوم الوحي، والوحي جاء أول ما جاء بـ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [الْعَلَق: 1].

علم نزول القرآن

نزول القرآن أو علم نزول القرآن من الموضوعات الرئيسة في هذا العلم، علم نزول القرآن من الموضوعات الرئيسة في علوم القرآن؛ إذ فيه بيان لوجه الحق في حقيقة القرآن الكريم ومعرفة تاريخ نزوله، وينبني عليه ما بعده من العلوم كأسباب النزول والمكي والمدني، وغيرهما.

✓ كيفية نزول القرآن

سنذكر الآن أمورًا مُسلَّمة، أمورًا واضحة، أمورًا لا يختلف عليها أحد من أهل السنة والجماعة.

المُسلَّمة الأولى: أن القرآن منزل من عند الله عزوجل وليس بمخلوق

وقد وردت آيات كثيرة تدل على أن هذا القرآن هو تنزيل، وأنه منزل من عند الله عز وجل، ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِالرَّحِيمِ﴾ [فُصِّلَتْ: 1، 2]، ويقول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشُّعَرَاءِ: 192،193]، ويقول الله عز وجل: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزُّمَرِ: 1،2]، ﴿الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: 1-4].

وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على نزول القرآن الكريم، وأنه ليس بمخلوق أو حديث مفترى أو هو من تعليم البشر كما زعم كفار قريش، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الدعاء على المشركين: "اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اللهم اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم"، وقوله صلى الله عليه وسلم: إذا أردت مضجعك، فقل: "اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت..." الحديث

بل إن لفظة **النزول** في جميع القرآن وردت على ثلاث صيغ، بل إن مادة النزول في القرآن لها ثلاثة أوجه لا رابع لها كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولفظ [الإنزال] في القرآن قد يرد مقيداً بالإنزال منه؛ كنزول القرآن، وقد يرد مقيداً بالإنزال من السماء ويراد به العلو؛ فيتناول نزول المطر من السحاب، ونزول الملائكة من عند الله وغير ذلك، وقد يرد مطلقاً فلا يختص بنوع من الإنزال، بل ربما يتناول الإنزال من رؤوس الجبال، كقوله: {وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} [الحديد:25]، والإنزال من ظهور الحيوان كإنزال الفحل الماء وغير ذلك." انتهى كلامه.

إذن الصيغ الثلاثة للفظ النزول في القرآن هي:

- نزول مقيد بأنه بالإنزال من عند الله عز وجل
- ونزول مقيد بالإنزال من السماء
- وقد يرد لفظ الإنزال مطلقا فلا يختص بنوع من الإنزال.

والنزول الأول مقيد بأنه من عند الله، لا يأتي هذا إلا في القرآن الكريم، ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فُصِّلَتْ: 2]، ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: 192]، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غَافِرٍ: 2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في تعليقه على الأحاديث السالفة: "وفي قوله: {مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [الأنعام:411] دلالة على أمور: منها: فيه بيان أنه منزل من الله عز وجل لا من مخلوق من المخلوقات ولهذا قال السلف: منه بدأ أي: هو الذي تكلم به لم يُبتدأ من غيره كما قالت الخلقية، وفيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي صلى الله عليه وسلم من العقل الفعال أو غيره كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصابئة وهذا القول أعظم كفرا وضلالا من الذي قبله، وهذه الآية أيضا تبطل قول من يقول أن القرآن العربي ليس منزلا من الله بل مخلوق إما في جبريل أو محمد أو جسم آخر غيرهما".

فالقرآن الكريم بلا شك أنه منزل من عند الله عز وجل، ليس بمخلوق، ليس من جبريل، ليس من محمد، ليس من السماء - من الملائكة أو من غيرهم - بل هو من عند الله عز وجل، ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النَّمْلِ: 6] سبحانه. فالقرآن منزل من عند الله عز وجل، **وإذا قلنا: إن القرآن الكريم منزل من عند الله عزوجل لا ينافي أنه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله**، كما في حديث الإسراء والمعراج، فقال الجبار: "يا محمد" قال: "لبيك وسعديك" قال: "إنه لا يبدل القول لديّ، كما فرضت عليك في أم الكتاب، فكل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولا يتنافى أنه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله؛ فإن كونه مكتوبًا في اللوح المحفوظ وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله، سواء كتبه الله قبل إن يُرسل به جبريل أو بعد ذلك، وإذا كان قد أنزله مكتوبًا إلى بيت العزة جملةً واحدةً في ليلة القدر، فقد كتبه كله قبل أن ينزله سبحانه، والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون". انتهى كلامه رحمه الله.

هذه المُسلَّمة الأولى وهي أن القرآن منزل من عند الله عز وجل وليس بمخلوق، لا من جبريل ولا من الهواء ولا من الملائكة ولا من غيرهم؛ بل هو منزل من عند الله عز وجل.

المُسلَّمة الثانية: أن القرآن كله نزل به جبريل عليه السلام

القرآن كله نزل به جبريل عليه السلام كما هو صريح في قوله عز وجل: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشُّعَرَاءِ: 193]. وفي قوله صلى الله عليه وسلم في قصة نزول ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [الْمُدَّثِّرِ: 1] وفيه: "فلما أفقت، أتيت أهلي مسرعًا، فقلت: "دثروني، دثروني" فأتاني جبريل فقال: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ" الحديث.

قد يستشكل مُستشكل ويستفهم سائل فيقول: ورد حديثٌ عند مسلم أن ابن عباس – رضي تعالى الله عنهما – قال: "بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ هَذَا بَابٌ مِنْ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ

وَقَالَ أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ". فهذا الحديث في ظاهره يدل على أن سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، نزلت عن طريق ملك من الملائكة وليس عن طريق جبريل عليه السلام.

هذا ظاهر الحديث، ولكن نوجه هذا الحديث كما وجهه العلماء أن الملكين جاءا بالبشارة بهما، وبيان ما خُصَّ به من بين سائر الأنبياء، والبشارة تكون قبل وجود الشيء، أو يقال: نزول الملك بفضلها وثوابها، أما نزول التلاوة فهو من طريق الروح الأمين عليه السلام، وأما قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – في قصة الإسراء والمعراج، في صحيح مسلم، قال: "فأُعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثًا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغُفِر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا، المُقحِمات" الحديث. فالمراد به - والله أعلم - أعطي إجابةالدعوات التي اشتملت عليها الآيتان: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا...﴾ [الْبَقَرَةِ: 286]، فأُعطي إجابة الدعوات التي اشتملت عليها الآيتان، أو أُعطي البشارة بهما وبما تضمنته من وضع الآصار والأغلال.

أكتفي بهذا القدر ونكمل بإذن الله عز وجل في محاضرة قادمة.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين ،وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

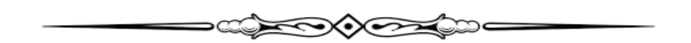


قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **مروة الماحي**

قام بالمراجعة الأولى والتدقيق: **أحمد عبد الرحمن**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**



علوم القرآن

د. عمر عبد العزيز الدهيشي

المحاضرة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدلله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد: فاستكمالا لما قد بدأناه في المحاضرة الماضية حول الكلام عن نزول القرآن الكريم، وقبل أن نتكلم عن نزول القرآن الكريم، فقد ذكرنا **مُسَلَّمات عند أهل السنة والجماعة تتعلق بنزول القرآن**، ونتابع اليوم ذكر باقي هذه المسلمات. مما ذكرنا في المحاضرة السابقة الآتي:

المسلَّمة الأولى: أن القرآن الكريم منزل من عند الله عز وجل وليس بمخلوق، وكذلك أن القرآن الكريم منزل من عند الله عز وجل وليس من جبريل -عليه السلام-، وليس من الهواء، أو من أي مخلوق كان، بل هو منزل من عند الله عز وجل.

المسلَّمة الثانية: أن القرآن الكريم كله نزل عن طريق جبريل -عليه السلام-، وقد ذكرنا أحاديث في ظاهرها أنه قد نزل بعض الآيات عن طريق غير جبريل -عليه السلام-، وقد وجَّهنا تلك الأحاديث والحمد لله.

المسلَّمة الثالثة: أن نزول القرآن الكريم ابتدأ يوم الاثنين

من المسلمات في نزول القرآن، أن **نزول القرآن الكريم ابتدأ في يوم الإثنين**، ويشهد لهذا حديث أبي قتادة -رضي الله عنه- (في صحيح البخاري) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن صوم يوم الإثنين؟ فقال: "وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ قَالَ: "ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ" " الحديث. وفي لفظٍ عند مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ذاك يومٌ وُلدتُ فيه ويومُ بُعثتُ (أو أُنزلَ عليَّ فيه)" الحديث. وقال ابن حجر: "وأفاد شيخنا البلقيني أن سن النبيصلى الله عليه وسلم حين جاءه جبريل في حراء كان أربعين سنة على المشهور، وكان ذلك يوم الاثنين نهارًا".

المسلَّمة الرابعة: مدة نزول القرآن كانت ثلاثاً وعشرين سنة: كم كانت مدة نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم؟ نزل القرآن الكريم من حين أوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أول البعثة في غار حراء إلى وفاته صلى الله عليه وسلم، منذ أن كان عمره أربعين سنة الى وفاته صلى الله عليه وسلم وعمره ثلاث وستين سنة، على الصحيح من أقوال العلماء في هذا الأمر، ففي الحديث الذي رواه مسلم عن أنس -رضي الله عنه- قال : "بعثَه اللهُ على رأسِ أربعين سنةً فأقام بمكةَ عشرَ سنين وبالمدينةِ عشرَ سنين وتوفاهُ اللهُ على رأسِ ستين سنةً "

الحديث. وعن أنس -رضي الله عنه- قال: "أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ تابعَ الوحيَ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قبلَ وفاتِه حتى توفي، وأكثرُ ما كان الوحيُ يومَ توفي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ". الحديث في صحيح مسلم.

وعليه يتحدد نزول القرآن الكريم، إلا أنه اختُلف في متى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فروى أنس بن مالك، وابن عباس، وعائشة -رضي الله عنهم جميعا- "بُعِث على رأسِ أربعين سنةً ، فأقام بمكَّةَ عشرًا وبالمدينةِ عشرًا ، وتُوفِّي على رأسِ ستِّين سنةً". وروى ابن عباس -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن خمس وستين. وروى الثلاثة كلهم، ابن عباس، وأنس بن مالك ، وعائشة -رضي الله عنهم جميعًا- أنه توفي وهو ابن ثلاث ستين سنة ، بقي ثلاث عشرة سنة بمكة ، وعشر سنوات بالمدينة. ولذا قال ابن حجر "فَإِنَّ كُلّ مَنْ رُوِيَ عَنْه أَنَّهُ عَاشَ سِتِّينَ أَوْ أَكْثَر مِنْ ثَلَاث وَسِتِّينَ، جَاءَ عَنْهُ أَنَّهُ عَاشَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ. فَالْمُعْتَمَد أَنَّهُ عَاشَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ...". بل حكى الإمام النووي اتفاق العلماء على أن أصح الروايات ثلاث وستون سنة. وعليه **فمدة نزول القرآن كانت ثلاثا وعشرين سنة** - والله أعلم.

هذا فيما يتعلق بالمسلمات التي تتعلق بنزول القرآن ، نجملها:

أولا: أن القرآن منزل من عند الله عز وجل .

ثانيا: أن القرآن نزل به جبريل -عليه السلام- .

ثالثا: أن ابتداء نزول القرآن كان في يوم الإثنين.

رابعًا: أن مدة نزول القرآن كانت ثلاثا وعشرين سنة: ثلاث عشرة سنة في مكة، وعشر سنوات في المدينة.

✓ تنزلات القرآن الكريم: كم مرة نزل القرآن الكريم؟

نأتي إلى مسألة تنزلات القرآن الكريم وهي: **كم مرة نزل القرآن الكريم؟** ذُكِرت أقوال في عدد تنزلات القرآن الكريم، واختلف العلماء في هذا الأمر، ويرجع سبب نشأة هذه الأقوال والاختلافات إلى اجتهادٍ من العلماء في الجمع بين الآيات والأحاديث النبوية. ففي القرآن الكريم آيات ورد فيها النص على نزول القرآن الكريم، منها ما يدل على نزوله جملة واحدة، ومنها ما يدل على نزوله مفرقا، وكذلك إذا نظرنا في السنة النبوية، وجدنا هناك روايات صحيحة عن ابن عباس -رضي الله عنه- عن عدد تنزلات القرآن والتي لا يمكن أن يقولها من تلقاء نفسه.

الآيات التي وردت في القرآن الكريم والتي تدل على نزوله جملة واحدة: قال الله تعالى:

1. ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن ..﴾ [البقرة:185]،
2. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [الدخان:3]،
3. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:1].

والآيات التي وردت في القرآن الكريم التي تدل على نزول القرآن الكريم مفرقاً: قال الله تعالى:

1. ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ [الْإِسْرَاءِ : 106]
2. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الْفُرْقَانِ : 32]

✓ أقوال العلماء في نزول القرآن الكريم

لتنوع دلالة آيات نزول القرآن الكريم، فإن للعلماء في نزول القرآن أقوال:

القول الأول: أن للقرآن الكريم نزولاً واحدا:

بدأ في ليلة القدر وهي ليلة مباركة في شهر رمضان، وعلى هذا تدل الآيات الثلاث: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن ..﴾ [البقرة:185]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [الدخان:3]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر:1]، ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة، فليس للقرآن إلا نزول واحد منجم على الرسول -صلى الله عليه وسلم.

القول الثاني: أن للقران الكريم نزولين :

- **النزول الأول**: نزوله من اللوح المحفوظ في السماء السابعة إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة واحدة.
- **والنزول الثاني**: نزوله بعد ذلك منجماً على النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل-عليه السلام.

هذه المسألة، أعني هذه المسألة تتعلق بأمر غيبي، فكيف قال العلماء أن القرآن له تنزلان؟ مادليلهم؟ استدلوا بحديث ابن عباس -رضي الله عنهما- ومن ذلك قوله رضي الله عنه: "نَزَلَ القرآن فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا جُمْلَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ فُرِّقَ فِي السِّنِينَ بعد، وَتَلَا ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: 75]، قال: نزل مفرقا". وقد وردت روايات كثيرة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- بألفاظ مختلفة في هذه المسألة، ومن ذلك: قوله -رضي الله عنه- عندما سئل عن قوله تعالى :﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن ..﴾[البقرة:185] وعن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:1]، وعن قوله :﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [الدخان:3]. قال ابن عباس -رضي الله عنه- : "إنه قد أُنزِلَ في رمضانَ في ليلةِ القدرِ في ليلةٍ مباركةٍ جملةً واحدةً ثم أُنْزِل على مواقعِ النجومِ رسلًا في الشهورِ والأيامِ". وفي رواية أخرى قال ابن عباس -رضي الله عنه-: "أُنْزِلَ القرآنُ جملةً واحدةًحتى وُضِعَ في بيْتِ الْعِزَّةِ في السماءِ الدنيا".

ومن مجموع هذه الروايات عن ابن عباس -رضي الله عنه- نخلص إلى مايلي :

أولاً: أنه نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا، كما هو صريح في تلك الروايات التي ذكرتها قبل قليل.

ثانيًا: أن نزوله جملة واحدة كان إلى السماء الدنيا، أنه وضع في بيت العزة في السماء الدنيا.

ثالثًا: أنه نزل بعد ذلك مفرقا ومنجما، وهو نزول مستقل عن نزوله جملة واحدة، وهذه نقطة مهمة، وهو نزول مستقل عن نزوله جملة واحدة.

هذا النزول المفرق والمنجم طريقته: أن الله عز وجل تكلم سبحانه بهذه الآيات، وسمعه جبريل -عليه السلام- من الله عز وجل مباشرة، ونزل جبريل -عليه السلام- بها إلى النبيصلى الله عليه وسلم، وسمعه من جبريل؛ كما قال سبحانه وتعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القرآن مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل:6]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء:192-194]. فجبريل -عليه السلام- أخذ القرآن مباشرة، سمعه من عند الله عز وجل، وأدّاه كما سمعه، فمهمة جبريل -عليه السلام- هي الرسالة فقط، هي الصلة بين الله عز وجل وبين محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا الملحظ استدل العلماء واستنبطوا من قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ [التكوير:19. 20]، قالوا: المراد هنا جبريل -عليه السلام-. طيب، كيف يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾؟ قد يستدل مستدل أن هذا القرآن من عند جبريل، فنقول : لا، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: 19]، وصف جبريل -عليه السلام- بأنه رسول فقط، والرسول مهمته أن يأخذ الحاجة، فأي رسول كان، نحن نفهم أن الرسول الذي يأخذ الحاجة من شخص ويسلمها إلى شخص آخر، وهذه هي مهمة الرسول، سواء كانت حاجة، أو كان كلاما، أو غير ذلك. هذه هي مهمة الرسول، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: 19]؛ مما يدل على أن **مهمة جبريل هي الرسالة فقط، هي الصلة بين الله عزوجل وبين رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن**. فلا يمكن أن يستدل مستدل على أن هذا القرآن من عند جبريل، كلا، فمهمة جبريل هي الصلة بين الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم. وفي هذا المقام أود أن أنبه إلى أنه رويت روايات أخرى، تفيد أن النزول الأول (نزوله جملة)، والنزول الثاني (نزوله مفرقًا)، كلاهما كان منجما، يعني النزول الأول كذلك كان منجما في عشرين سنة، ولكنها حقيقة روايات حكم عليها العلماء بالضعف، وعليه فلا نتكلم ونشعِّب الحديث في مثل هذا؛ لأن مستندهم حديث ضعفه العلماء.

وعليه:

الصحيح أن للقرآن نزولين: نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ونزوله بعد ذلك مفرقا.

✓ ما الفرق بين النزولين للقرآن الكريم؟

قد يقول قائل ما أوجه الإفتراق بين النزولين؟ نحن قررنا أن الصحيح، والعلم عند الله عز وجل أن القرآن نزل مرتين: نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا، ونزل مفرقا في ثلاث وعشرين سنة، فما الفرق بين النزولين؟

1. الفرق الأول: **أن النزول الأول كان جملة واحدة وكيفيته مجهولة، أما النزول الثاني فكان مفرقا في ثلاث وعشرين سنة نزل به جبريل -عليه السلام- أي:**

- **النزول الأول**: نزول كلي جملة واحدة، أما كيفيته؟ ومن أنزله؟ وكيفية نزوله؟ هذه مجهولة؛ لأنها من الأمور الغيبية التي لا يجوز القول فيها إلا بدليل .
- **النزول الثاني**: نزول منجم في ثلاث وعشرين سنة، نزل به جبريل -عليه السلام- وهذا هو الفرق الأول.

2. **الفرق الثاني**: أن النزول الأول الذي هو جملة واحدة إلى السماء الدنيا، كان نزول من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في بيت العزة، وكان كله في ليلة واحدة، وهي ليلة القدر في شهر رمضان. أما النزول الثاني وهو النزول المفرق والمنجم،كان على قلب النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة إبتدأ في ليلة القدر في رمضان، ونزل في سائر أيام السنة وشهورها. إذن، النزول الأول: وُضِعَ نزولٌ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في بيت العزة، كما هو صريح في حديث ابن عباس -رضي الله عنه-، أما النزول الثاني: فهو نزوله على قلب النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة، ابتدأ في ليلة القدر في رمضان، ونزل في سائر أيام السنة وشهورها. قد تنزل سورة كاملة على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تنزل عشرة آيات دفعة واحدة، وقد تنزل خمس آيات دفعة واحدة، بل قد ينزل بعض آية كقوله تعالى: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ في قوله سبحانه: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: 187].

3. **الفرق الثالث:** من الفروقات بين النزول الأول (جملة واحدة) والنزول الثاني (مفرقا ومنجما): أن **النزول الأول نزولٌ مكتوب، والنزول الثاني نزولٌ مسموع**، سمعه جبريل -عليه السلام- من ربه سبحانه، وسمعه محمد صلى الله عليه وسلم من جبريل -عليه السلام- مباشرة

وهذا القول، بأن للقرآن الكريم تنزلين: مرة جملة واحدة في السماء الدنيا في بيت العزة، ومرة نزوله مفرقا، هذا هو الأرجح والأقرب والذي رجحه جملة من العلماء - رحمهم الله تعالى-.

أختم بتنبيه مهم، وهو أن **النزول الأول للقرآن الكريم جملة واحدة هو نزولٌ مستقلٌ تماماً عن نزوله في المرة الثانية**، فلا نقول أن جبريل أخذه من السماء الدنيا في بيت العزة، لا، بل أخذه مباشرة. فالنزول الأول: نزول القرآن الكريم جملة واحدة هو نزولٌ مستقلٌ تماما عن نزوله مفرقا. نزوله جملة واحدة هو من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا. وهو مستقل تماما، والنزول الثاني هو من عند الله عز وجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل -عليه السلام-.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **سعاد إبراهيم**

قام بالمراجعة الأولى والتدقيق: **أخ في الله، وإيمان عثمان**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**



علوم القرآن

د. عمر عبد العزيز الدهيشي

المحاضرة الثامنة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، أحيي الجميع بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسأل الله عز وجل لي ولكم التوفيق والتسديد. نواصل الحديث في هذه المحاضرة المباركة بإذن الله -عز وج، عن علم نزول القرآن، فحديثنا في هذه المحاضرة موصول بالمحاضرتين السابقتين اللتين خصصنا الحديث فيهما عن علم نزول القرآن. النقطة الرابعة في علم نزول القرآن هي:

✓ الحكمة من نزول القرآن منجما

قد يقول قائل: إذا كان القرآن -وقد قررتم أنه- نزل منجما، فما الحكمة في هذا؟ الكتب السابقة نزلت جملة واحدة، كما ذكره جملة من العلماء، أما هذا القرآن نزل خلال 23 سنة كما أقررناه في محاضرات سابقة، فما الحكمة من ذلك؟ الحكمة نلتمسها في عدة أمور منها:

1. الحكمة الأولى: تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم

وهذه هي الحكمة الأساس في نزول القرآن منجما، وهو صريح في ما جاء في كتاب الله عز وجل، في قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان:32]. هذه أظهر فائدة وأعظم حكمة من نزوله منجما. ولتثبيت قلب الرسول صلى الله عليه وسلم أوجه كثيرة، ومنها:

- **إخبار الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه وسلم بالأذى الذي حصل للأنبياء والرسل من قبله**، ولسان الحال يقول: يا أيها النبي إن كان أصابك من الأذى والتكذيب ما أصابك، فقد جرى كذلك للأنبياء من قبلك، ففيه تثبيت وتطمين لقلب النبي صلى الله عليه وسلم، كما في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام:34].
- **أمره وحثه صلى الله عليه وسلم على الصبر:** كما قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف:35] فإن أصابك الأذى والاعتداء والإعراض من المشركين، فعلاج ذلك الصبر، وأنت يا محمد لم تصبر وحدك، بل صبر الأنبياء من قبلك عندما أوذوا.

- **نهيه صلى الله عليه وسلم عن الحزن والضيق:** فإن الحزن والضيق يؤثر على الداعية كما يؤثر من باب أولى على من رفع ودعا إلى الله تعالى. نهى الله عز وجل نبيه عن الحزن والضيق بقوله:﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:6]، فلا تحزن ولا يضيق صدرك، فأنت على الحق وقومك وأصحابك ومن سار على دربك هم على الحق، وإن أصابهم ما أصابهم فإن العاقبة للمتقين، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:33]، وفي قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه:132].
- **تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتبشيره بالنصر والتمكين:** لك أن تتصور حال النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مكة، وهم قلة مستضعفون ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال:26]، فمن أوجه تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم تبشيره بالنصر والتمكين، قال تعالى: ﴿وينصرك الله نصرا عزيزا ويتم نعمته عليك﴾ [الفتح:3] وغير ذلك من الآيات المتضمنة تبشيره بأن هذا الدين قائم ومنصور بنصر الله عز وجل له ولأتباعه.

هذه إلماحة سريعة لبعض الأوجه التي فيها تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم.

2. الحكمة الثانية: تيسير حفظ القرآن الكريم وفهمه

فنزول القرآن الكريم منجما فيه تيسير للصحابة على حفظه، أما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد تكفل الله بحفظه في قلبه، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه﴾ [القيامة:17-19]. إذن، نزوله منجما فيه تيسير على الصحابة في حفظه وفهمه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:17]. قال أبو شامة المقدسي (ت:665هـ): "كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا لا يكتب ولا يقرأ، ففُرقَ عليه القرآن ليتيسر عليه فهمه، ولو نزل جملة واحدة لتعذر حفظه في وقت واحد، على ما أجرى الله به من عوائد خلقه".

3. الحكمة الثالثة: مسايرة الحوادث

فالنبي صلى الله عليه وسلم بشر، ويعيش بين البشر، وحال البشر أن تحصل لهم بين الحين والآخر حوادث أو أسئلة أو اعتراضات أو نوازل، فينزل القرآن ببيان حكم مسألة ما، أو لجواب سؤال طرح على النبي صلى الله عليه وسلم أو سئل عليه، وهذه الأسئلة التي كانت توجه على النبي -صلى الله عليه وسلم، قد تكون:

- **قد تكون أسئلة فيما مضى من القرون والأمم:** كسؤال اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم عن رجل قد بلغ مشرق الأرض ومغربها فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:83] وسؤالهم عن فتية فقدوا في أول الزمان، فأنزل الله عز وجل قصتهم كاملة في سورة الكهف.
- **قد تكون أسئلة حاضرة مشاهدة:** ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة:189]، وقوله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:219]، ثم ينزل جبريل من عند الله بآيات فيجيب عن اسئلتهم ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة:189].
- **قد تكون أسئلة عن أمور مستقبلية:** ومن ذلك سؤالهم عن الساعة، وقد تكرر كثيراً ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب:63]
- **تنبيه المسلمين إلى أخطائهم وإرشادهم إلى الصواب فيها:** فهذا ثابت بن قيس وهو أحد الصحابة رضي الله عنهم، لما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:2] قال: أنا الذي كنت أرفع صوتي فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا من أهل النار فذُكِرَ ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال بل هو من أهل الجنة، فهذه الحادثة حدثت فنزلت هذه الآيات.
- **كشف حال المنافقين وهتك أستارهم** حتى يحذرهم المسلمون ويأمنوا مكرهم وشرهم. المنافقون في العهد المدني كانوا كثر، وكانوا يكيدون في الخفاء على المسلمين ويتربصون بهم الدوائر وعملوا ومكروا مكرا كبارا، فينزل الله عز وجل بين الحين والآخر ما يبين ويكشف سترهم ويظهر خبايا نفوسهم. وقد روى سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس -رضي الله عنهما-: سورة التوبة. قال: "التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل ومنهم ومنهم حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم الا ذكر فيها".

4. الحكمة الرابعة: التدرج في التشريع وتربية الأمة

لو نزل القرآن جملة واحدة فإن الأحكام كلها ستكون في زمن واحد، ولكن من حكمة الله ورحمته بهذه الأمة أن القرآن نزل مفرقا منجما، ليحصل هنالك تدرج في الأحكام والتشريعات، حتى تتروض النفوس وتتحمل التكاليف الأخرى، وفي هذا يحضرنا قول عائشة -رضي الله عنها-: "إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا"

هذه إلماحةٌ سريعةٌ وأبرز الحِكَمِ والفوائد من نزول القرآن منجما، ولا يمنع من ذكر حكم أخرى من نزول القرآن منجما.

✓ أول ما نزل من القرآن الكريم وآخر ما نزل

هذه هي النقطة الخامسة في هذا العلمِ، علمِ نزول القرآن. **فما هي الآيات التي هي أول ما نزل من القرآن الكريم؟**
هذه المسألة وردت صريحة في حديث عائشة أم المؤمنين-رضي الله عنها- وذلك في قصة بداية الوحي، حيث قالت: "أَوَّلُ مَا بُدِىءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْوَحْيِ الرؤيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ، اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فجَاْءهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ؛ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِيءٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيءٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيءٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(5))..." الحديث. فهذه **خمس آيات من أوائل سورة العلق، وهذه هي أول ما نزل من القرآن، وليست سورة العلق كاملة.** هذا الحديث صحيح صريح بأول ما نزل بذكر الحادثة التي تدل دلالة قاطعة بأن هذه الآيات هي أول ما نزل من القرآن.

إذا قررنا هذا يعترضنا حديث ويشكل علينا حديث آخر وهو حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- يخالف دلالة حديث عائشة -رضي الله عنها- السابق ذكره، فننظر ما هو هذا الحديث الذي يخالف وينافي دلالة حديث عائشة بأن أوائل سورة العلق هي أول ما نزل من القرآن، والحديث في صحيح مسلم والراوي جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: "سألتُ أبا سلَمةَ : أيُّ القرآنِ أُنْزِلَ قبلُ؟ قالَ: يا أيُّها المدَّثِّرُ، فقُلتُ: أوِ اقرأ؟ فقال: سألتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ أيُّ القُرآنِ أُنْزِلَ قبلُ؟ قالَ: يا أيُّها المدَّثِّرُ، فقُلتُ: أو اقرأ؟ قالَ جابرٌ : أحدِّثُكُم ما حدَّثَنا رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، قالَ " جاوَرتُ بِحِراءٍ شَهْرًا ، فلمَّا قَضيتُ جِواري نزَلتُ فاستَبطنتُ بطنَ الوادي، فَنوديتُ فنظرتُ أمامي وخلفي، وعن يَميني، وعَن شمالي، فلَم أرَ أحدًا ، ثمَّ نوديتُ فنظرتُ فلم أرَ أحدًا ، ثمَّ نوديتُ فرفَعتُ رأسي ، فإذا هوَ علَى العَرشِ في الهواءِ (يَعني جبريلَ علَيهِ السَّلامُ) فأخَذَتني رَجفةٌ شَديدةٌ ، فأتَيتُ خديجةَ ، فقُلتُ : دثِّروني ، فدثَّروني ، فَصبُّوا عليَّ ماءً ، فأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ :يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ [المدثر /آية 1 - 4] ". الحديث رواه الامام مسلم.
في كلا الحديثين النبي صلى الله عليه وسلم لم يصرح بأول ما نزل من القرآن آية كذا أو سورة كذا، وإنما هاتان الحادثتان من خلال ما استنبط العلماء في أول ما نزل. فجابر رضي الله عنه أخبر بما توصل اليه علمه وبما علم من حال النبي صلى الله عليه وسلم، وبما يذكر من قوله عليه الصلاة والسلام.

فلننظر ونتأمل في هذين الحديثين، وفي دلالاتهما حتى نجمع بين القولين أو نرجح من خلالهما، ولكن إذا تأملنا في هذين الحديثين وتلك الحادثتان يترجح حديث عائشة رضي الله عنها في أن أول ما نزل على الإطلاق أوائل سورة العلق. فما هي هذه المرجحات؟ نذكرها في المحاضرة التالية ان شاء الله تعالى.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **أخت في الله**
قام بالمراجعة الأولى والتدقيق: **خلدون الأتاسي**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**



علوم القرآن

د. عمر عبد العزيز الدهيشي

المحاضرة التاسعة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، أحيي الجميع بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسأل الله عز وجل لي ولكم التوفيق والتسديد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، نواصل الحديث حول مسألة: **أول ما نزل من القرآن**، وقد ذكرت أن هناك حديثان نبويان صحيحان في أول ما نزل، وقد اجتهد العلماء رحمهم الله تعالى في الجمع بين هذين الحديثين والتأمل في هذين الحديثين، وخلصوا إلى أن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق أوائل سورة العلق، بدلالة حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها-.

ولنذكر **بعضًا من المرجحات التي ترجّح حديث عائشة** -رضي الله تعالى عنها- في أن أول ما نزل من القرآن هو أول خمس آيات من سورة العلق، على حديث جابر -رضي الله تعالى عنه- وفيه أن أول ما نزل سورة المدثر:

- **أولًا: قول النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء: "ما أنا بقارئ" ثلاثًا**، يدل - والله أعلم - على أنه هو أول الأمر، أما في حديث جابر فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [الْمُدَّثِّرِ: 1] من دون مراجعة من النبي صلى الله عليه وسلم من نفي أو استفهام، يدل على أن هذا النزول تاليًا للنزول الأول، فالنبي صلى الله عليه وسلم اعتاد على نزوله فنزلت {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [الْمُدَّثِّرِ: 1] بدون مراجعةٍ من النبي صلى الله عليه وسلم.
- **ثانيًا: قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها-: "لقد خشيت على نفسي"**، والخوف والخشية لا يكونان إلا بعد حصول ما هو مستغرب ومخالف للعادة، ولما لم يحصل أي من ذلك في حديث جابر -رضي الله تعالى عنه- يدل على أن حديث عائشة في أول ما نزل {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [الْعَلَقِ: 1] هو أول ما نزل على الإطلاق.
- **ثالثًا: قوله صلى الله عليه وسلم في قصة نزول أول المدثر: "ثم فترعني الوحي فترة"**، يدل كذلك على أنه قد سبق وأن جاءه قبل ذلك.
- **رابعًا: قوله صلى الله عليه وسلم: "فإذا الملك الذي جاءني بحراء"**، نص على أولية قصة غار حراء التي من خلالها نزل عليه أوائل سورة العلق.
- **خامسًا: قوله صلى الله عليه وسلم في حديث جابر: "فحمي الوحي وتتابع"** يدل على تأخر الحادثة، وأنها كانت بعد فترة الوحي.

ومن خلال ما سبق **يترجح** - والله أعلم - **أن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق هو أوائل سورة العلق**، وفي هذا حكمة؛ حيث إن هذه الآيات الخمس اشتملت على مقاصد القرآن، فهي منحصرة في علوم التوحيد والأخبار والأحكام، وقد اشتملت على الأمر بالقراءة والبداءة فيها، بـ"باسم الله" {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [الْعَلَقِ: 1]، وفي هذا إشارة إلى الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته، وفي هذا إشارة إلى أصول الدين، وفيها ما يتعلق بالأخبار، وفيها أيضًا براعة الاستهلال، فهذه الحكمة – والله أعلم - من نزول هذه الآيات أولًا.

✓ آخر ما نزل من القرآن الكريم

نأتي الآن إلى آخر ما نزل من القرآن. قررنا أن أول ما نزل هي أوائل سورة العلق، لكن ما آخر ما نزل من القرآن؟

- رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث مرفوع أنه عليه الصلاة والسلام قال: "المائدة من آخر القرآن تنزيلًا، فأحلُّوا حلالها، وحرموا حرامها"، إلا أن الحديث مرسل وضعفه العلماء، وعلى فرض صحته فيحمل على أن سورة المائدة من أواخر السور نزولًا كما يدل عليه نص الأثر "من آخر"، وليست آخره، والله أعلم.

وللعلماء في آخر ما نزل من القرآن كله أقوال منها:

القول الأول: روي عن عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- وابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- أن آخر ما نزل **آية الربا**، وهي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الْبَقَرَةِ: 278]، ومن الأدلة على ذلك: ما رواه البخاري رحمه الله في باب: واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله، عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال: آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية الربا.

وكذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده، وابن ماجه، والبيهقي عن سعيد بن المسيب - رحمه الله - قال عمر رضي الله عنه: "إن آخر ما نزل من القرآن آية الربا، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يفسرها، فدعوا الربا والريبة"، وفي لفظ: "إن من آخر ما أنزل آية الربا"، هذا هو القول الأول.

القول الثاني: أن آخر ما نزل من القرآن هو قوله تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [الْبَقَرَةِ: 281]، واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها: ما رواه النسائي والبيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "آخر شيء نزل من القرآن: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ}" [الْبَقَرَةِ: 281]، ورواه الطبري بلفظ: آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} [الْبَقَرَةِ: 281].

القول الثالث: إن آخر ما نزل من القرآن **آية الدين**، وهي أطول آية في القرآن الكريم، وهي قوله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ} [الْبَقَرَةِ: 282]، واستدل أصحاب هذا القول بما

أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلَّام في الفضائل، عن ابن شهاب قال: "آخر القرآن عهدًا بالعرش آية الربا وآية الدين".

وإذا تأملنا هذه الأقوال الثلاثة، وهي: أن آخر ما نزل آية الربا {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا} [الْبَقَرَة: 278]، وقوله سبحانه وتعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} [الْبَقَرَة: 281]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ} [الْبَقَرَة: 282]، **يمكن أن نجعلها بمثابة قول واحد**، فنجمع هذه الأقوال الثلاثة في قول واحد، فهذه الآيات الثلاث التي نص ثلة من العلماء أنها آخر ما نزل هي **آيات متتابعة في سورة البقرة**، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...} [الْبَقَرَة: 278،279]، ثم بعد آية قال الله عز وجل: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} [الْبَقَرَة: 281]، ثم قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ} [الْبَقَرَة: 282]، فهذه الآيات آيات متتابعة في سورة البقرة، **فالقول فيها بمثابة قول واحد، وكل راوٍ يذكر بعض آخر ما نزل**، كذلك أن ابن عباس -رضي الله عنهما -روي عنه القول بأن آخر ما نزل آية: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} [الْبَقَرَة: 281]، وروي عنه كذلك القول بأن آخر ما نزل آية الربا، فالجمع بين الروايتين عن ابن عباس أولى من إبطال أحدهما.

فالراجح - والله تعالى أعلم - أن هذه الآيات الثلاث هي آخر ما نزل من القرآن.

وقيل: إن آخر ما نزل من القرآن هي قوله تعالى: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} [النِّسَاءِ: 176]، واستدل أصحاب هذا القول بما رواه البخاري عن البراء -رضي الله تعالى عنه- قال: "آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت يستفتونك"، وعند الإمام مسلم عن البراء: "آخر آية أنزلت آية الكلالة، وآخر سورة أنزلت براءة"، وفي لفظ آخر: "سورة أنزلت كاملة"، ويمكن أن يجاب عن هذا بحمل المراد على أنه **آخر ما نزل في المواريث**، وأن مراد البراء -رضي الله تعالى عنه- بقوله: آخر ما نزل، أنه في موضوع محدد من موضوعات القرآن، وهو علم المواريث، فيقال ويوجه قول البراء بأن آخر ما نزل في المواريث وليس آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق، فهي مقيدة وليست مطلقة، وقيل غير ذلك من الأقوال، ولكن هذه الأقوال كلها ترتبط بموضوعات محددة فينص الصحابي أو التابعي على أنها آخر ما نزل من القرآن في ذلك الموضوع وفي ذلك العلم.

أما آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق، من الأحكام والقصص والأخبار وغيرها، هي قوله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ * وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ...} [الْبَقَرَة: 278-282]، الآيات. هذه آخر ما نزل من القرآن، والله أعلم.

نأتي الآن إلى الموضوع السادس من موضوعات علم نزول القرآن، وهو:

✓ نزول القرآن على النبي - صلى الله عليه وسلم - على سبعة أحرف

إن القرآن نزل على النبي صلى الله عليه وسلم أول ما نزل والنبي صلى الله عليه وسلم **في مكة**، وكان المسلمون آنذاك قلة وغالبيتهم من قريش، أو من القبائل القريبة منها، **فنزل القرآن بلغتهم**، أي بلهجتهم أي بلسانهم؛ بلسان قريش، **وكانت الحال لا تستدعي تعدد الأحرف**، تعدد اللهجات، تعدد اللسان، ولكن بعد هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أصبحت المدينة مركز الإسلام ومأرز الإيمان، وبدأ القوم يهاجرون إليها من أصقاع الأرض، من أنحاء جزيرة العرب ومن خارج جزيرة العرب، بدأ القوم يهاجرون إليها، فاجتمع في المدينة أصناف من قبائل العرب، وشُرِع حينها جهاد الكفار والمشركين، **فبدأ الناس يدخلون في دين الله تعالى أفواجًا، فأصبح من الصعوبة بمكان أن يقرأ أولئك القوم القرآن بلغة قريش**؛ لأنهم اعتادت ألسنتهم على لهجتهم التي يتكلمون بها، فيصعب عليهم حينئذ أن يقرأوا القرآن بلسان قريش وبلهجة قريش، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم وهو الرحيم بأمته عليه الصلاة والسلام - سأل ربه التخفيف والتيسير على أمته، وحصلت الإجابة من الله عز وجل بنزول جبريل عليه السلام ومعه ميكائيل.

وقد ورد تفسير ذلك في سنن النسائي، ففي حديث أنس -رضي الله تعالى عنه-، عن أبي بن كعب -رضي الله تعالى عنه- قال: "ما حاك في صدري منذ أسلمت إلا أني قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتي، فقلت أقرأنيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا نبي الله أقرأتني آية كذا وكذا، قال: نعم، وقال الآخر: ألم تقرئني آية كذا وكذا، قال: نعم، ثم قال عليه الصلاة والسلام: إن جبريل وميكائيل أتياني، فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف، قال ميكائيل: استزده استزده، حتى بلغ سبعة أحرف، فكل حرفٍ شافٍ كافٍ".

وفي الصحيحين عن ابن شهاب، أن عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- قال: "سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أساوره في الصلاة (أي: كدت أثب عليه)، فتصبرت حتى سلَّم، فلبَّبْته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأُ، قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرسله، اقرأ يا هشام"، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرآ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"كذلك أنزلت". ثم قال: "اقرأ يا عمر"، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه".

والذي يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم: "**ما تيسر منه**" أنها **رخصة** للقبائل التي كانت لا تستطيع أن تكره ألسنتها على لهجة قريش أو على اللهجة الأصلية فيصعب عليها، فجاء التيسير والتخفيف من رب العالمين لهذه الأمة المرحومة، ولهذا واستجابة لدعوات نبيها أشرف الأنبياء وخير المرسلين صلى الله عليه وسلم، فدل هذان الحديثان على أن عدد الحروف سبعة، ويقصد به العدد المعروف الذي بين الستة والثمانية، وأن أي حرف منها يعد قرآنًا، وبأيها قرأ القارئ فهو مصيب، هذه هي حقيقة الأحرف السبعة.

تعريف الأحرف السبعة:

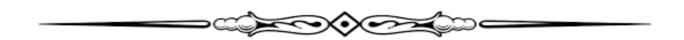
يمكن تعريف الأحرف السبعة بأنها: **وجوه قرائية متعددة متغايرة منزلة**. إذن، هذه الأحرف هي (**وجوه قرائية**) من القراءة من التلاوة هذا يقرأ: {وَالضُّحَى}، وهذا يقرأ: {وَالضُّحَى} بالإمالة، هذا يقرأ قوله سبحانه: {جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} في سورة التوبة، وذاك يقرأ: {جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ} فهي وجوه قرائية متعددة، وهي كذلك (**متغايرة**)، وكلها (**منزلة**) **قد تصل إلى سبعة أوجه في الكلمة الواحدة ولا تتعداها**، كما في قوله سبحانه وتعالى: {أُفّ} [الإسراء: 23] ورد فيها سبعة أوجه، كذلك في قوله عز وجل: {وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} [الْمَائِدَة: 60]، ورد فيها سبعة أوجه، قد تصل هذه الأوجه المتعددة المتغايرة إلى سبعة أوجه في الكلمة ولا تتعداها، بأيها قرأت أيها القارئ تكون قد قرأت قرآنًا، فهي وجوه قرآنية متعددة متغايرة منزلة، قد تصل إلى سبعة أوجه في الكلمة ولا تتعداها، بأيها قرأت تكون قرأت قرآنًا، هذا هو تعريف هذه الأحرف السبعة، وهذا ظاهر إذا نظرنا في حال أولئك القوم الذين قدِموا إلى المدينة، وقد تعودت ألسنتهم على لهجة وعلى لسان معين، فينزل القرآن بالتخفيف والتيسير، بأنه يجوز لك أن تقرأ القرآن على لهجتك وبلسانك الذي اعتدت عليه.

هنا **نقطة مهمة** يجب أن ننتبه لها وهي: أن **هذه الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبع**، فبينهما اختلاف، فالأحرف السبعة هذه كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بعد ذلك حصل نسخ لبعض تلك الأحرف؛ كما هو فيه دلالة من عرض جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم في آخر حياته القرآن مرتين، وفيه إشارة ودلالة على أن هذه العرضة - والله أعلم - هي التي ستبقى؛ ولهذا اعتمد عليها الصحابة، على تلك العرضة الأخيرة التي عارض جبريل فيها النبي عليه الصلاة والسلام القرآن مرتين، وذلك في آخر سنة من حياته عليه الصلاة والسلام، فعليه جمع أبو بكر -رضي الله تعالى عنه- القرآن في مصحف واحد، وبقي عند عمر، ثم بعد عمر -رضي الله تعالى عنه-، انتقل إلى بيت ابنته حفصة، ثم بعد ذلك طلبه عثمان فنسخ هذا المصحف في مصاحف، وقام بتوزيعه على الأمصار، وعندئذٍ اختلفت القراءة، فالأحرف هي ما ورد في العرضة الأخيرة التي عارض جبريل فيها

النبي صلى الله عليه وسلم، فجُمع القرآن في عهد أبي بكر، ثم قام عثمان -رضي الله تعالى عنه- بنسخ هذا المصحف وتوزيعه، فأصبح هذا الرسم وهذا المصحف هو الأساس والعمدة في الرجوع إلى القرآن، عندئذٍ اختلفت القراءات، وبعد تقريبًا ثلاثة قرون جاء ابن مجاهد واختار سبعةً من القراء استحسن قراءتهم واختار قراءتهم من بين قراءات غيرهم، فنشأ عندنا القراءات السبع، فهناك فرق بين الأحرف السبعة والقراءات السبعة، فالقراءات السبعة ليست كل الأحرف السبعة، ولكن هي بعض من الأحرف السبعة.

اكتفي بهذه الإشارة السريعة حول علاقة الأحرف السبعة بالقراءات السبع أو القراءات العشر أو القراءات الثلاثة عشر.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **منيرة فهد**
قام بالمراجعة الأولى والتدقيق: **أحمد عبد الرحمن**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**



علوم القرآن

د. عمر عبد العزيز الدهيشي

المحاضرة العاشرة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد... هذه هي المحاضرة العاشرة ضمن مقرر علوم القرآن في برنامج السعدي. أحيّ الجميع بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبإذن الله عز وجل سنتدارس في هذه المحاضرة علما جديدا، وهو علم أسباب النزول.

علم أسباب النزول

بعد أن درسنا علم الوحي، ودلفنا بعده إلى علم نزول القرآن، وتكلمنا عن حقيقة نزول القرآن، ومتى نزل وكيف نزل والحكمة من نزوله منجما، وكذلك أشرنا إشارة سريعة إلى موضوع نزول القرآن على الأحرف السبعة، وحقيقة هذا النزول. نأتي الآن إلى العلم الثالث من علوم القرآن وهو علم أسباب النزول.

القرآن الكريم ينزل بطريقين:

1. **الطريق الأول: نزوله ابتداءً من غير ارتباط بسبب من الأسباب**، وهذا هو الأصل، وهو غالب القرآن الكريم أن ينزل ابتداءً بدون سبب مثل قول الله عز وجل: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ} [الاخلاص:1،2]،وقوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة:255]. فغالب القرآن الكريم أنه ينزل ابتداءً في وقته الذي قدر الله عز وجل نزوله في الوقت المناسب لنزوله؛ بالحِكَم التي ذكرناها في المحاضرات الماضية. هذا هو الأصل والغالب في القرآن أنه ينزل نزولا ابتداءً بدون سبب.
2. **الطريق الثاني: نزول القرآن بسبب**، وهذه الأسباب قد تكون بسبب سؤال، قد تكون حادثة، قد تكون نازلة معينة؛ فينزل القرآن الكريم. وهذه هي التي يسميها العلماء بأسباب النزول، وهي ما عناه المؤلفون في علوم القرآن بأسباب النزول.

مثال: حادثة الإفك حصلت وبقي النبي صلى الله عليه وسلم شهرا وهو يُنال من عِرضه عليه الصلاة والسلام، واشتد ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فنزل قول الله عز وجل : {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} [النور:11]، الآيات العشر في من سورة النور. وهذه الحادثة هي سبب نزول الآيات العشر التي في سورة النور.

هذا هو المراد سريعا بأسباب النزول.

اهتم العلماء -رحمهم الله- بعلم أسباب النزول ، بل اجتهدوا في جمع أسباب النزول، وفي ضبطها، حتى قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: "والذي لا إله غيره ما نزلت آية إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تبلغه المطايا –يعني الرواحل مثل الإبل وغيرها- لأتيته"، ومثل قول عليّ رضي الله تعالى عنه: "أيّها الناس سلوني قبل ان تفقدوني. فوالله ما بين لوحي المصحف آية تخفى علي، فيما أنزلت ولا اين نزلت ولا ما عني بها". هذه الآثار تدل على أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم حريصون على جمع هذه الأسباب، وعلى العلم بهذه الأسباب، كما سيأتي معنا بإذن الله في الأمثلة التي ستأتي في تضاعيف هذه المحاضرة والمحاضرات التي بعدها. فالصحابة رضوان الله عليهم اهتموا بهذه الأسباب، وكذلك - من باب أولى- من جاء بعدهم من التابعين وأتباعهم إلى زمننا هذا.

تعريف أسباب النزول:

السبب في اللغة هو كل شيء يُتوصلُ به إلى غيره، والجمع أسباب.

وسبب النزول في الاصطلاح: **هو ما نزلت الآية متحدثة عنه أيام وقوعه**، ما نزلت الآية أو الآيات أو السورة متحدثة عنه، عن هذه الحادثة، أو عن هذا السؤال، أو عن هذه النازلة أيام وقوعه؛ ليخرج لنا ما نزل بعد وقوعه مثل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ} [الفيل:1،2]. هذه قصة الفيل وأصحاب الفيل كانت قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فلا نعد من أسباب نزول سورة الفيل قصة أصحاب الفيل، كلا؛ فلابد أن يكون نزول الآيات المتحدثة عن سبب النزول في أيام وقوعه في وقت وقوعه، وما قلنا في حال وقوعه وإنما قلنا وقت وقوعه والذي قد يكون بعده بقليل، قد يكون بأيام، قد يكون بلحظات، قد يكون كذلك بأشهر، كما هو واضح وظاهر في قصة حادثة الإفك. فسبب النزول هو ما نزلت الآية متحدثة عنه أيام وقوعه، هذا هو تعريف سبب النزول في الاصطلاح. وقيل غير ذلك ولكنها في الحقيقة أقوال متشابهة ومعانٍ متقاربة تؤدي نفس الغرض.

هذا **السبب الذي نزل بسببه القرآن ونزلت بسببه الآيات قد يكون قولا، وقد يكون فعلا**. وهذا القول قد يكون صَدَر من النبي صلى الله عليه وسلم، وقد يكون صدر من الصحابة أو من غيرهم من المنافقين ومن أهل الكتاب وغيرهم. ومن ذلك:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الوحي، وكان يفرح بنزوله عليه فقال لجبريل عليه السلام: "لو تأتينا أكثر مما تأتينا"، فأنزل الله عز وجل: {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ} [مريم:64]؛ الأمر ليس إلى جبريل وإنما هو من عند الله عز وجل.

- كذلك، كان عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم أحد صناديد قريش وكبارهم، وكان يدعوه إلى الإسلام، فجاءه ابن أم مكتوم ،وهو رجل أعمى، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمه الدين، فأعرض النبي صلى الله عليه و سلم عنه فأنزل الله عز وجل: {عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَو يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى} [عبس:1-4]، هذا الفعل صدر من النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت أوائل سورة عبس.
- فالسبب قد يكون قولا أو فعلا صدر من النبي -صلى الله عليه و سلم-، أو قد يكون صدر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، والأمثلة على ذلك كثيرة. أنا لا أريد أن أكثر من الأمثلة، لكن لعلنا نؤكد على بعض الأمثلة التي تتكرر معنا بين الحين والآخر، كما جاء في قصة عائشة رضي الله تعالى عنها في نزول آيات حادثة الإفك.
- كذلك قد يكون السبب صَدَر من المنافقين عندما قال الله عز وجل: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [التوبة:79].
- وقد يكون السبب من **أهل الكتاب من اليهود والنصارى**، كما قال الله عز وجل: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} [الإسراء: 85]، {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا} [الكهف: 83].

كما أن **السؤال الذي بسببه تنزل الآيات قد يكون عن أمر ماضٍ، وقد يكون عن أمر حاضر، وقد يكون عن المستقبل**. وأمثلة ذلك:

- **سؤال عن أمرٍ ماضٍ**، قال الله عز وجل: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ} [سورة الكهف 83]، يسألونك عن الفتية الذين أووا إلى الكهف، فأنزل الله عز وجل قصتهم كاملة في سورة الكهف؛
- **سؤال عن أمرٍ حاضر**، قال الله عز وجل: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ} [سورة البقرة 189]، وقال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ} [سورة البقرة 215]،
- **سؤال عن المستقبل**، قال تعالى: {يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ} [سورة الأحزاب 63].

فأسباب النزول متعددة، ومتعلقاتها متنوعة، وأحوالها مختلفة، إلا أنها محصورة في زمان نزول القرآن فحسب؛ أسباب النزول مرتبطة بأيام نزول القرآن، فلما انقطع الوحي انتهت الأسباب بموت النبي -صلى الله عليه و سلم-، ولا سبيل لنا بعدُ إلى معرفة أسباب النزول إلا من خلال النقل الصحيح عمَّن نزل عليه القرآن، أو عايش نزوله، كالصحابة رضوان الله تعالى عليهم، أو من كبار التابعين وذلك بضوابط. فأسباب النزول ليست تخميناً أو ظناً أو عملية عقلية، لا، بل مصدرها الوحيد هو النقل عن النبي صلى الله عليه و سلم فهو صلى الله عليه وسلم من نزل عليه القرآن، أو النقل عمَّن عايش نزوله من الصحابة، أو النقل عن كبار التابعين.

وضع العلماء للنقل عن أقوال كبار التابعين في أسباب النزول ضوابط مشددة لقبولها واعتبارها، ومن تلك الضوابط:

- أن تكون عبارته صريحة في السببية،
- وأن يكون الإسناد إليه صحيحاً،
- وأن يكون التابعي من أئمة التفسير،
- وأن يعتضد برواية تابعي آخر.

هذه ضوابط جعلها العلماء في قبول رواية التابعي لسبب النزول، ولكن الأصل أن أسباب النزول لا يمكن، ولا يحسن لنا العلم بها إلا عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم، أو من عايش نزول القرآن؛ أما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فنكتفي بالنقل والرواية فحسب.

يقول الواحدي - وهو ممن ألّف في هذا العلم - يقول: "ولا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها" انتهى كلامه. ولهذا وصلتنا كتب كثيرة، وتراث علمي عظيم في أسباب النزول، وفي جمع الأحاديث والآثار المتعلقة بأسباب النزول؛ ومن ذلك كتاب لعلي ابن المديني في أسباب النزول، وكذلك كتاب للواحدي، وللنيسابوري وللسيوطي، وكذلك هناك كتب لمؤلفين معاصرين كالصحيح المسند من أسباب النزول، وكتاب أسباب النزول في الكتب التسعة، وغيرها من الكتب والبحوث والدراسات التي جمعت الروايات في أسباب النزول.

✓ فوائد معرفة أسباب النزول

ما الفائدة من معرفة سبب نزول الآية أو الآيات أو السورة؟ هل لها فائدة أم هي مجرد تراث يحفظ أو روايات تكرر؟ لا؛ بل لها فوائد عظيمة تتجلى وتظهر في نقاط عدة:

- بمعرفتنا لأسباب النزول **نعرف المعنى المراد بالآية:** فسبب النزول يعين على معرفة المراد وتعيينه، إذ قد ترد على الآية احتمالات صحيحة من حيث هي، لكن بسبب النزول نحدد أحد هذه المعاني ويكون هو المراد دون غيره، فالآية من حيث هي قد تحتمل معان كثيرة بدلالاتها اللغوية أو بدلالاتها السياقية، ولكن بعلمنا بسبب النزول نحدد أحد هذه المعاني ونستبعد غيرها؛ وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبِب". مثاله ما رواه مسلم -رحمه الله- في صحيحه قال: "جاء إلى عبدِ اللهِ رجلٌ فقال : تركتُ في المسجدِ رجلًا يُفسِّرُ القرآنَ برأْيه .يُفسِّرُ هذه الآية: يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ . قال : يأتي الناسَ يومَ القيامةِ دخانٌ فيأخذ بأنفاسِهم . حتى يأخذَهم منه كهيئةِ الزُّكامِ . فقال عبدُ اللهِ : مَن علِم علمًا فلْيَقُلْ به . ومن لم يعلمْ فلْيقُلْ : اللهُ أعلمُ . فإنَّ مِن فقه الرجلِ أن يقول، لما لا عِلمَ له به : اللهُ أعلمُ . إنما كان هذا، أنَّ قريشًا لما استعصتْ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، دعا عليهم بسنينَ كسِني يوسفَ فأصابهم قحطٌ وجهدٌ حتى جعل الرجلُ ينظر إلى السماءِ فيرى بينه وبينها كهيئةِ الدُّخانِ

من الجَهدِ. وحتى أكلوا العظامَ. فأتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ رجلٌ فقال: يا رسولَ اللهِ ! استغفِرِ اللهَ لمضرَ فإنهم قد هلكوا . فقال "لمضرَ ؟ إنك لَجريءٌ" قال فدعا اللهَ لهم. فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ : إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ [الدخان : 15] قال فمُطِروا. فلما أصابتْهم الرَّفاهيةُ، قال: عادوا إلى ما كانوا عليه . قال فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ : فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ [الدخان: 10 - 11] يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ [الدخان : 16] قال: يعني يومَ بدرٍ ".

فلو لم يرد لنا هذا السبب لم يُعرف المُنزّل معناه على الخصوص دون التطرق للاحتمالات الأخرى، معرفتنا بأسباب النزول يعيننا على معرفة معنى الآية، والمراد بالآية.

- كذلك من فوائد معرفة أسباب النزول: **معرفتنا للحكمة التشريعية من تشريع هذا الحكم الذي ورد في القرآن الكريم**، ومن ذلك قول الله عز وجل في سورة المجادلة: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [سورة المجادلة 1]، ننظر إلى أسباب النزول فنجد أنها قصة خولة بنت ثعلبة - رضي الله تعالى عنها - عندما ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت فقال لها: "أنت عليَّ كظهر أمي" ، فجاءت تشتكي إلى النبي صلى الله عليه و سلم وتشكي له حالها، فأنزل الله عز وجل: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ * وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة: 1-3] الآيات، فمعرفتنا بسبب النزول تعين على معرفة الحكمة من التشريع.

- **معرفتنا أسباب النزول تعيننا على فهم الآية وتفسيرها**، وكذلك على دفع اللبس والإشكال عن معناها، الآية قد تكون لها دلالات متعددة وأوجه متنوعة. فعندما نعرف سبب النزول، فذلك يعين على فهمها ودفع اللبس والإشكال عن معناها، وبالمثال يتضح المقال؛ الله عز وجل يقول: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} [سورة البقرة 115]، قد يقول قائل أنا أريد إذا أردت الصلاة سواء صليت إلى إتجاه القبلة أو إلى الشمال أو إلى الجنوب أو إلى الشرق أو إلى الغرب فالله عز وجل يقول: وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ. هل هذا هو المراد؟ كلا، كيف علمنا أن هذا غير مراد؟ بمعرفتنا بسبب النزول، ما هو سبب النزول يا ترى؟ حديث جابر رضي الله تعالى عنهما في سنن البيهقي:

قال جابر رضي الله عنه: "بعثَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ سريَّةً كُنتُ فيها ، فأصابَتنا ظُلمةٌ ، فلم نَعرفِ القِبلةَ ، فقالَت طائفةٌ منَّا القِبلةُ هاهُنا قِبَلَ الشَّمالِ، فصلُّوا وخطُّوا خطًّا، وقالَ بعضُهُم:

القبلةُ هاهُنا قبلَ الجَنوبِ وخطُّوا خطًّا، فلمَّا أصبَحنا، وطلَعتِ الشَّمسُ، أصبَحت تلكَ الخطوطُ لِغَيرِ القبلةِ ، فقَدِمنا مِن سفَرِنا فأتَينا النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ ، فسَألناهُ عن ذلِكَ فسَكَتَ ، وأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ أي حيثُ كنتُمْ".

فعندئذ لا تعارض بين هذه الآية وقول الله عز وجل: {قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} [سورة البقرة 144]، لله المشرق والمغرب إذا اجتهدت وغاب عنك اتجاه القبلة وصليت حسب اجتهادك، وليس هناك من يدلك ويعينك على تحديد القبلة، عندئذ نقول ولله المشرق والمغرب كما هو ظاهر في سبب النزول.

- وروي كذلك، أن هذه الآية نزلت في صلاة التطوع في السفر؛ وهو أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يصلي في السفر صلاة النافلة والتطوع حيث توجهت به راحلته، نحو الشمال الجنوب الغرب الشرق، فأنزل الله عز وجل: وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ أي حيثُ كنتُمْ ، صلوا حيث توجهت بكم الراحلة في التطوع.

أكتفي بهذا ونكمل بإذن الله عز وجل في محاضرة قادمة وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **راجية الجنة**

قام بالمراجعة الأولى والتدقيق: **أخ في الله**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**



علوم القرآن

د. عمر عبد العزيز الدهيشي

المحاضرة الحادية عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدلله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، وبعد: هذه المحاضرة الحادية عشرة من محاضرات مقرر علوم القرآن، ضمن برنامج السعدي. أحيي الجميع بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسأل الله عز وجل لي ولكم التوفيق والتسديد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

نواصل الحديث بإذن الله عز وجل في هذه المحاضرة، ما قد بدأناه في المحاضرة السابقة من الحديث عن **فوائد معرفة أسباب النزول** ضمن دراستنا لعلم أسباب النزول. من فوائد معرفة أسباب النزول الآتي:

- أن **اللبس يزول عندما نعرف سبب نزول تلك الآية أو الآيات**، فمعرفة أسباب النزول تزيل الإشكالات، واللبس الحاصل في بعض الآيات، أو في فهم بعض الآيات التي أنزلها الله عز وجل ومن تلك الأمثلة: قول الله عز وجل : {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} [البقرة:158]. قال الله عز وجل هنا: {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ}، ومن المعلوم والمتقرر أن السعي بين الصفا والمروة هو من الواجبات في الحج والعمرة، والله عز وجل نفى الجناح هنا. وهذا الإشكال، وهذا اللبس حصل لعروة بن الزبير -رضي الله تعالى عنه- يخبرنا هو بقوله:

" قلتُ لعائشةَ زوجِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وأنا يومَئذٍ حديثُ السنِّ : أرأيتِ قولَ اللهِ تبارَك وتعالى : {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا} . فما أرى على أحدٍ شيئًا أن لا يطَّوَّف بهما ؟ فقالتْ عائشةُ : كلَّا، لو كانتْ كما تقولُ، كانتْ: فلا جُناحَ عليه أن لا يطَّوَّف بهما، إنما أُنزِلَتْ هذه الآيةُ في الأنصارِ، كانوا يُهِلُّونَ لمَناةَ، وكانتْ مَناةُ حَذوَ قُدَيدٍ، وكانوا يتحرَّجونَ أن يطَّوَّفوا بين الصفا والمروةِ، فلما جاء الإسلامُ سألوا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن ذلك، فأنزَل اللهُ : {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا} [البقرة:158] ".

ويفهم منه السعي بين الصفاة والمروة حتى وإن كان فيه أصنام للمشركين، فمعرفتنا لسبب النزول يزيل هذا اللبس، ويدفع الفهم الخاطيء لهذه الآية: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} [البقرة:158].

- من فوائد معرفة أسباب النزول: **معرفة من نزلت فيه الآية بعينه، حتى لا يُبَرَّأ المتهم، أو يُتَهَم البرىء**، وحتى لا يزعم أحد أن المراد بالذم في هذه الآية هو فلان من الصحابة، أو غيرهم، وهو بريء من ذلك، أو ينسب إلى آخر صفات مدح في آية، والمراد بها غيره، ومن ذلك: أن مروان بن الحكم، وكان في وقتها واليًا على الحجاز في زمن معاوية -رضي الله تعالى عنه- قد استعمله على الحجاز خطب الناس، وجعل يذكر يزيد بن معاوية، يذكره في الخطبة ويثني عليه، لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبدالرحمن بن أبي بكر -رضي الله تعالى عنه- شيئا، وقال له كلاما في ذلك، فقال مروان: خذوه؛ أي إيتوا به -وهو الوالي- فهرب عبدالرحمن بن أبي بكر، ودخل في بيت عائشة، في بيت أخته -رضي الله تعالى عنهما- فلم يقدروا عليه. فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: { وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [الأحقاف:17] الآية. فقالت عائشة من وراء الحجاب، وهي في غرفتها و في بيتها: "كلا ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري". هذا الحديث رواه الإمام البخاري ونصه:

"كانَ مَرْوَانُ على الحجازِ، استعمَلَهُ معاويةُ، فخطَبَ فجعلَ يذْكُرُ يزِيدَ بنَ معاويةَ لكي يُبَايَعَ لهُ بعدَ أبيهِ ، فقالَ لهُ عبدُ الرحمنِ بنُ أبي بكرٍ شيئًا، فقالَ : خُذُوهُ، فدخَلَ بيتَ عائِشَةَ فلمْ يقْدِروا، فقالَ مَرْوَانُ: إنَّ هذا الذي أنزلَ اللهُ فيهِ: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي}. فقالتْ عائشةُ من وراءِ الحِجَابِ :ما أنزلَ اللهُ فينَا شيئًا من القرآنِ ، إلَّا أنَّ اللهَ أنزلَ عُذْرِي"

جاء قول عائشة رضي الله عنها لتنفي التهمة التي اتهم مروان بها عبد الرحمن بن أبي بكر، فقالت: كلا ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا عذرى فقط، فمعرفة سبب النزول فيه تبرئة للمتهم، وكذلك ألا يتهم البريء.

- من فوائد معرفة أسباب النزول: **تعيين المبهم**، قد يرد في القرآن الكريم، في آياتٍ منه، أسماءٌ مبهمة، أو إشاراتٌ مبهمة، فمعرفتنا لأسباب النزول، وما ذكره الصحابة -رضي الله عنهم- في معنى هذه الآية من حادثة، أو من سؤال، نعرف بها معنى هذا المبهم، ويصبح لنا ظاهرًا بعد أن كان مبهمًا. مثاله: ما أخرجه البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ} -وهم اليهود- {مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا} [البقرة:142]، البراء رضي الله عنه فسر السفهاء بأنهم اليهود. فمعرفة أسباب النزول تدلنا وتعيننا على معرفة المبهم من الأسماء، أو من الأوصاف، أو من الدلالات، من كتاب الله عز وجل. هذه مجمل فوائد معرفة أسباب النزول.

✓ صيغ أسباب النزول

من الموضوعات التي يناقشها علم أسباب النزول: صيغ أسباب النزول. والمقصود بصيغة أسباب النزول هو: كيف يعبر الصحابي أو التابعي من كبار التابعين، كيف يعبر عن سبب النزول حتى نعرف أنه أراد بهذا سبب النزول، أو أراد به غير سبب النزول. يذكر علماء علوم القرآن أن لأسباب النزول صيغتين:

الصيغة الأولى: الصيغة الصريحة

(1) صيغة صريحة، كقول الراوي سواء من الصحابة أو كبار التابعين: سبب نزول الآية كذا، ولكنه حقيقةً هذه نص عليها بعض من ألَّف في علوم القرآن، ومن خلال البحث والدراسة لم أقف - ولم يقف كذلك غيري - على هذه العبارة، وهي قول الراوي من الصحابة ومن كبار التابعين، أن سبب نزول الآية كذا، ولكنه افتراض عقلي ليس له رصيد من الواقع، فنقول: من صيغ أسباب النزول؛ الصيغ الصريحة، ومن ذلك أن **يصرح بلفظ السبب، ويأتي بفاء داخلة على مادة النزول فيقول: "فأنزل الله"، "فنزلت"**، وذلك عقب سرده لحادثة معينة، كقول الراوي على سبيل المثال: حدث كذا فنزل كذا، أو حدث كذا فنزلت الآية، الفاء هذه الدالة على التعقيب. **"فنزلت"، أو "فأنزل"، هذا من أكثر الأساليب استعمالا في أسباب النزول**. إذا رجعنا وتأملنا في صيغ أسباب النزول التي يذكرها العلماء أكثرها، وغالبها تكون بهذه الصيغة: فأنزل الله، أو فنزلت، ولكن مع هذا، وإن كانت صيغةً صريحةً في أسباب النزول، إلا أنه لا يعني وجود هذه الصيغة أن يكون الحديث سببًا للنزول.

ومثاله: ما رواه جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول: ثم فترَ عنِّي الوَحْيُ فترةً ، فبينا أنا أمشي، سمعتُ صوتًا من السماءِ فرفعتُ بصري قِبَلَ السماءِ فإذا المَلَكُ الذي جاءني بحراءٍ، قاعدٌ على كرسيٍّ بين السماءِ والأرضِ، فَجُئِثْتُ منهُ، حتى هويتُ إلى الأرضِ، فجئتُ أهلي فقلتُ : زمِّلوني زمِّلوني، فأنزل اللهُ تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ - إلى فَاهْجُرْ} [المدثر:1-5]". هذا نص صريح في سبب النزول، وذلك بدخول الفاء على مادة نزل، إلا أنه وردت روايات أخرى، وفيها: "وأُنزِل عليه" -بالواو- وبعضها "فنزلت"، ومع ذلك لا تخرجها عن السببية الصريحة؛ بل وورد في المسند من طريق آخر عن جابر -رضي الله عنه- بلفظ: "فقلت: دثروني دثروني، فأتاني جبريل، فقال: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِرْ}" بدون صيغة النزول، من دون صيغة التصريح بمادة النزول.

وكذلك مما ورد في قصة حادثة الإفك، وفيه: "أبشري يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك" وفي لفظ: "أما الله فقد برأك" وهي صريحة، وإن لم يستخدم فيها لفظ النزول، و ذلك بالقرائن التي احتفت بإيراد القصة.

(2) وقد ترد **صيغة صريحة في سبب النزول ويراد بها التفسير**، قد ترد صيغة صريحة في أسباب النزول؛ فنزلت، فأنزل الله، و لكنها حقيقة لا يعني بها الصحابي أو التابعي أنها سبب النزول، ولكن يريد التفسير، أن هذه الحادثة،

أن هذه الواقعة، أن هذه النازلة، تدخل ضمن هذه الآية، فقوله: فأنزل الله، فنزلت، لا يدل على أن هذا سبب النزول، و لكن ليبين أن هذه الحادثة تدخل ضمن قوله تعالى في أي آية كانت، وبالمثال يتضح المقال:

مثال ذلك: ما ورد في قصة اللعان، في صحيح البخاري، عن سهل بن سعد الساعدي-رضي الله عنه-: "أَنَّ عُوَيْمِرًا، أَتَى عَاصِمَ بْنَ عَدِيٍّ وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي عَجْلاَنَ، فَقَالَ: كَيْفَ تَقُولُونَ فِي رَجُلٍ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ، أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ سَلْ لِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ، فَأَتَى عَاصِمٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَسَائِلَ، فَسَأَلَهُ عُوَيْمِرٌ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرِهَ المَسَائِلَ وَعَابَهَا، قَالَ عُوَيْمِرٌ: وَاللَّهِ لاَ أَنْتَهِي حَتَّى أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ، فَجَاءَ عُوَيْمِرٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ القُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ»، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُلاَعَنَةِ بِمَا سَمَّى اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَلاَعَنَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ حَبَسْتُهَا فَقَدْ ظَلَمْتُهَا فَطَلَّقَهَا، فَكَانَتْ سُنَّةً لِمَنْ كَانَ بَعْدَهُمَا فِي المُتَلاَعِنَيْنِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انْظُرُوا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَسْحَمَ، أَدْعَجَ العَيْنَيْنِ، عَظِيمَ الأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ، فَلاَ أَحْسِبُ عُوَيْمِرًا إِلَّا قَدْ صَدَقَ عَلَيْهَا، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أُحَيْمِرَ كَأَنَّهُ وَحَرَةٌ، فَلاَ أَحْسِبُ عُوَيْمِرًا إِلَّا قَدْ كَذَبَ عَلَيْهَا»، فَجَاءَتْ بِهِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَصْدِيقِ عُوَيْمِرٍ، فَكَانَ بَعْدُ يُنْسَبُ إِلَى أُمِّهِ"

الشاهد في الرواية: "قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك" ماذا قال العلماء -رحمهم الله تعالى- حول قصة وسبب نزول آيات اللعان؟ يقول النووي: جمهور العلماء على أن سبب نزولها هي قصة هلال بن أمية، وليست قصة عويمر العجلاني. واستدلوا بالحديث الذي ذكره الإمام مسلم في قصة هلال، وكان أول رجل لاعن في الإسلام. قال الماوردي من أصحابنا في كتاب الحاوي: قال الأكثرون قصة هلال بن أمية أسبق من قصة العجلاني، ومع ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم "قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك" هذه صيغة صريحة، وليس المراد بها سبب النزول، ولكن المراد بها التفسير. أن الحادثة التي وقعت لك يا عويمر تدخل في قول الله عز وجل: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} [النور:6]. ومما يشهد لهذا القول؛ أنه وردت رواية أخرى عند البخاري، وفيها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له: "قد قُضي فيك وفي امرأتك" للدلالة على الحادثة التي سبقت حادثة عويمر العجلاني، وهي حادثة هلال بن أمية.

هذه الصيغ الصريحة: فأنزل الله، فنزلت، يقولها الصحابي، أو كبار التابعين بعد حادثة تقع.

الصيغة الثانية: صيغة غير صريحة

(1) صيغة غير صريحة ولكنها من أسباب النزول: لفظ هذه الصيغة غير الصريحة هو قول الراوي: **"نزلت هذه الآية"**، أو **"أنزل الله قوله"**، أو **"نزل قوله تعالى"**، بدون الفاء الدالة على التعقيب، فهذه صيغة غير صريحة في السببية، لأنها تحتمل السبب، وكذلك تحتمل التفسير، إلا أنه تبقى القرائن التي تحتف بهذه الحادثة هي التي تُعَيِّن أحد هذين الاحتمالين، أو ترجحه، سواء قلنا أهو سبب نزول، أو هو داخل ضمن التفسير. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: قول الصحابي نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة أنه سبب النزول، ويراد به تارة أنه داخل في الآية، وإن لم يكن هو السبب، كما تقول عُنِيَ بهذه الآية كذا وكذا.

مثاله: ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نزلت هذه الآية في أهل قباء {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} [سورة التوبة:108]، كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم"، انظر أبو هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "نزلت هذه الآية في أهل قباء"، قال صلى الله عليه وسلم: "كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم". فما جاء في الحديث لفظ غير صريح في سبب نزول هذه الآية، ومع ذلك فهي داخلة في سبب نزول الآية.

قال الطبري: يقول -تعالى ذِكْرُه- في حاضر المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، رجال يحبون أن ينظفوا مقاعدهم بالماء إذا أتوا الغائط والله يحب المطهرين بالماء، ثم ساق الأحاديث والروايات في ذلك. هذا مثال على صيغة غير صريحة، ولكنها داخلة، ويراد بها سبب النزول، كما أن سبب نزول: {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} [التوبة:108] هو فعل الأنصار الذين كانوا حاضري المسجد النبوى،

(2) صيغة غير صريحة ويراد بها التفسير: أما ما ورد بصيغة غير صريحة، ولكنها ليست في سبب النزول، وإنما يراد بها التفسير: ما رواه البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ} [إبراهيم:27]، قال: نزلتْ في عذابِ القبرِ، فيقالُ لهُ: مَنْ ربُّكَ؟ فيقولُ : ربيَ اللهُ ونبيِّي محمدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فذلكَ قولُهُ عزَّ وجلَّ : {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}"، ففي هذا الحديث بيان أن من تثبيت الله عز وجل للمؤمنين، تثبيتهم عند القبر.

قال السعدي: "يخبر الله تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام الذي يستلزم أعمال الجوارح، ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات ... " إلى آخر ما قال، فما جاء في هذا الحديث هو قول النبي صلى الله عليه وسلم: "نزلت في عذاب القبر" ليس سببا لنزول الآية، و إنما هو من باب التفسير، ولذا ترك العلماء القول بالسببية هنا، لأن المراد بهذا الحديث أن الله عز وجل يثبت المؤمنين عند سؤالهم

في القبر، فقوله صلى الله عليه وسلم نزلت في عذاب القبر، أو في سؤال الملكين، أن هذه الآية تشمل هذا المعنى، أى من باب التفسير، و ليس من باب أسباب النزول.

الخلاصة في صيغ أسباب النزول: (وهذه مهمة تأملوها)، أنه **لا يوجد صيغة محددة لأسباب النزول سواء كانت صريحة أم غير صريحة، إما لعدم الدليل عليه، وإما لاضطراب الأساليب المستعملة في ذلك، واختلافها، وتناقضها من حيث التطبيق.** وإن كانت مادة نزل التي وردت في الأحاديث والآثار دلالة قوية على أسباب النزول، ولكن لا يحكم بها إلا إذا تحققت الأركان التي تعرف بها أسباب النزول، ومن هذه الأركان:

- أن يكون الحدث جديدا، ما يكون حدث سابق كقصة أصحاب الفيل، أو كقصة ثمود، أو عاد، أو قصة نوح، أو قصة موسى، لابد أن يكون حدثا جديدا.
- الموافقة بين اللفظين؛ لفظ الآية ولفظ الحديث، فلا بد أن يكون بينهما قدر مشترك من الألفاظ والمعاني، ولهذا يقال السؤال معاد فى الجواب، وذلك لما بينهما من الصلة.
- سياق الآيات، وأعني بها الآيات التي تسبق موضع النزول وتتبعه، فهذه لا بد أن تكون في موضوعها وخطابها غير مخالفة للسبب في أصله وخطابه، فلو كان على سبيل المثال سياق الآيات في أهل الكتاب، ما صح أن يكون السبب في آية منه نازلا في المشركين.
- مراعاة التاريخ بين السبب والنزول، فالسبب لا يتأخر عن النزول إلا لحكمة إلهية، وفي أمثلة معروفة، فإذا وقعت المباعدة بينهما علمنا أنها ليست بسببها، مثلا الحادثة تقع في مكة ثم نقول هذه - وهى آية مدنية - نزلت بسبب تلك الحادثة، هذا مما يبعد هذا الاحتمال، وهو لا بد من الأركان أن يكون هناك مراعاة للتاريخ بين الحادثة وسبب النزول.
- ومن الأركان: صحة السند.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **غادة علاء الدين محمود**
قام بالمراجعة الأولى والتدقيق: **أخت في الله**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**



علوم القرآن

د. عمر عبد العزيز الدهيشي

المحاضرة الثانية عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فهذه هي الحلقة الثانية عشرة من الحلقات المتعلقة بمقرر علوم القرآن، وفي هذه الحلقة بإذن الله عز وجل سنواصل الحديث عن **علم أسباب النزول**، وقد سبق أن تكلمنا عن تعريف السبب وما المراد بأسباب النزول، وما هي الصيغ الصريحة وغير الصريحة، وكيف التعامل معها، وعن فوائد معرفة أسباب النزول، وغير ذلك من المسائل المتعلقة بهذا العلم. وفي هذه المحاضرة بإذن الله تعالى سنتكلم عن مسائل جديدة وهي:

✓ مسألة تعدد السبب والنازل واحد

قد تتعدد الأسباب، وتنزل آية أو آيات نزولا واحدا لعدة أسباب، فالآية أو الآيات التي نزلت إنما نزلت لأسباب عدة، ولهذه المسألة أمثلة ذكرها العلماء في كتبهم، وأكتفي بذكر مثالٍ واحد وهو عند قوله سبحانه وتعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ...﴾، [البقرة:189]، فعن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: "نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجّوا فجاءوا لم يدخلوا من قِبَل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكأنه عُيّر بذلك فنزلت ﴿...وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة:189]". هذا الحديث رواه البخاري ومسلم. هذه الآية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة:189]، نزلت على سببين:

1. أحد هذين السببين هو سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الأهلة ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾.
2. السبب الثاني: دخولهم لبيوتهم من ظهورها حال إحرامهم، فبيَّنَ الله سبحانه وتعالى أن ذلك ليس من البر

إذن، هذه الآية نزلت لسببين حصلا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو سؤالهم عن الأهلة، وأيضا بسبب ما كانت تفعله الأنصار حال رجوعهم من الحج. وكما ذكرت أن الأمثلة تتعدد وكثيرة في ذلك ونكتفي بهذا المثال.

✓ مسألة تعدد النازل والسبب واحد

وهي عكس المسألة السابقة، وصورة ذلك أن تكون الآيات النازلة بسبب واحد مُتعددة المواضع فبعضها في سورة وبعضها في سورة أخرى، مع أن السبب الذي أدى إلى نزولها واحد، وهذا واقع ولا إشكال فيه، ولا يوجد مانع من حصوله، والأمثلة على ذلك كثيرة، أكتفي بمثال وهو ما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس -رضي الله عنه- أن ناسا من أهل الشرك قَتَلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأَتَوْا محمداً صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الذي تقول وتدعو

إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾ [الفرقان:63]، الآيات، ونزل كذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:53]، فهاتان الآيتان نزلتا بسبب واحد.

✓ مسألة تكرار النزول

من مسائل علم أسباب النزول مسألة: هل يمكن أن يتكرر النزول؟ بمعنى، هل يمكن أن تنزل آية مثلا في مكة ثم ينزل بها جبريل مرة ثانية في المدينة؟ هل تنزل سورة في مكة في أول العهد المكي ثم تنزل نفس السورة أو ينزل بها جبريل مرة ثانية في آخر العهد المكي أو في العهد المدني؟ هذه المسألة، تكرار النزول، اختلف العلماء فيها على قولين:

القول الأول: **أن القرآن قد يتكرر نزوله**، قد تنزل السورة مرتين أو ثلاث مرات، قد تنزل آية أكثر من مرة ومثَّلوا لذلك بسورة الفاتحة، وقد اختار هذا القول السخاوي، والزركشي، والسيوطي، وغيرهم.

قال الزركشي: "وقد ينزل الشيء مرتين تعظيمًا لشأنه، وتذكيرًا عند حدوث سببه خوف نسيانه، كما قيل في الفاتحة نزلت مرتين، مرة بمكة وأخرى بالمدينة، والحكمة في هذا كله أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها فتُؤدَّى تلك الآية بعينها إلي النبي صلى الله عليه وسلم، تذكيرًا لهم بها، وبأنها تتضمن هذه، والعالم قد يحدث له حوادث فيتذكر أحاديث وآيات تتضمن الحكم في تلك الواقعة، وإن لم تكن خطرت له تلك الحادثة قبل مع حفظه لذلك النص" انتهى كلامه رحمه الله.

هذا هو القول الأول وهو أن النزول قد يتكرر مرتين، أو ثلاث مرات.

القول الثاني: **أنه ليس في القرآن شيء تكرر نزوله البتة وإنما نزل مرة واحدة**، واختار هذا القول ابن حجر وغيره رحم الله الجميع.

وحقيقةً عند البحث ودراسة الأحاديث والروايات التي قيلت إنها نزلت مرتين كسورة الفاتحة مثلا، وآية ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: 114]، وسورة الإخلاص وغيرها، نجدُ عند التأمل أن لها توجيها ومخرجا يُخرجها من قول أنها نزلت مرتين، فعدم وجود دليل صحيح يدل على تكرار النزول، وأن القول بتكرار النزول خلاف الأصل، كما قال ابن حجر: "والأصل عدم تكرار النزول". أيضا عدم الفائدة في تكرار النزول بل هو تحصيل أمرٍ حاصل موجود، كل هذا يُقوي - والله أعلم - القول الثاني وهو أن نزول الآية أو السورة لا يتكرر، وأن الأقرب أنه ينزل مرة واحدة، والله تعالى أعلم .

✓ هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟

من المسائل المتعلقة بعلم أسباب النزول مسألة: هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟ قد يحصل هناك سبب فتنزل الآية أو الآيات أو تنزل السورة، فهل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟ وبالمثال يتضح المقال.

مثال: قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [الْبَقَرَةِ : 196] هذه نزلت في كعب بن عُجرة، فهل نقصر هذه الآية على كعب بن عجرة فقط؟ أم أن نقول إن كل من حصلت له مثل ما حصل لكعب بن عجرة من أذى أو ارتكاب أي محظور من محظورات الإحرام فإنه يُحمل على هذه الآية؟، هذا هو معنى: هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب.

اختلف العلماء في هذا الأمر على قولين:

القول الأول: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلا يسقط عموم اللفظ بالسبب الذي ورد عليه، وهو مذهب أبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، وغيرهم.

القول الثاني: أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ فيسقط عموم اللفظ بالسبب الذي ورد عليه وهو مذهب مالك، ونُقل عن الشافعي، وأحمد، وغيرهما.

وهنا أريد أن أُنَبِّهَ إلي أمر في هذه القاعدة، قاعدة: هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب، فأقول أنه لا يعني هذا الخلاف في المسألة أن الأحكام النازلة بسبب حوادث خاصة أنها تختص بمن نزلت بسببهم؛ بل هي عامة لهم ولغيرهم، وإلا لكان أسباب النزول كله مقتصر على هذا وانتهت دلالات القرآن، وهذا المعنى لا يُراد في هذه المسألة، فالخلاف في هذه المسألة لا يعني أن الأحكام النازلة بسبب حوادث خاصة أنها تختص بمن نزلت بسببهم؛ بل هي عامة لهم ولغيرهم ، فإن القرآن صالح لكل زمان ومكان، حتى على قول من يرى أن العبرة بخصوص السبب وليست بعموم اللفظ، لكن **الفرق بين القولين في المسألة هو:**

أن من يرى أن العبرة بخصوص السبب يقول: لم نأخذ العموم من الحكم عن طريق اللفظ العام، لأن هذا اللفظ العام مختص بسببٍ من جهة النزول، ولكن أخذنا ذلك العموم من القياس، أي قياس الحوادث المشابهة لذلك الحدث، مثلا قصة نزول آيات الملاعنة ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاء إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النُّورِ : 6-7] هذه الآيات نزلت في حادثة عويمر العجلاني -كما ذكرناه في المحاضرة السابقة- فهل نقول أن هذه الآية، آية الملاعنة، أنها عامة العبرة؟ لأن العبرة بعموم اللفظ، أي أن كل من لاعن، أو كل من وجد عند امرأته رجلاً أجنبياً فإنه يلزمه الملاعنة؟ اتهمها بالزنا فإنه يلزمه الملاعنة؟ نجد أن من قال أن العبرة بعموم اللفظ ،فإنه سيأخذ هذا

السبب ويجعله عاما لجميع الناس، ومن قال أن العبرة بخصوص السبب وليس بعموم اللفظ سيأخذ الحكم بالقياس، نقيس هذا الحكم على غيره. إذن نجد أن الطائفة الأولى أخذوا دلالة الآية من عمومها، والطائفة الثانية أخذوا دلالة الآية من قياسها، أي بالقياس، فالذين يرون أن العبرة بعموم اللفظ يقولون أخذنا هذا العموم عن طريق اللفظ العام، أما من يرى أن العبرة بخصوص السبب فيقولون لم نأخذ العموم من الحكم عن طريق اللفظ العام، لأن هذا اللفظ العام مختص بسببه من جهة النزول، ولكن أخذنا ذلك العموم من القياس، أي قياس الحوادث المشابهة لما حدث.

مثال: قصة أوس بن الصامت عندما ظاهر من امرأته، وجاءت هذه المرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ... ﴾ [المجادلة:1-4] الآيات، آيات المظاهرة،

- على قول من يرى أن العبرة **بعموم اللفظ لا بخصوص السبب** يقول: إن كل من ظاهر من امرأته، وقال أنت عليَّ كظهر أمي يلزمه كفارة الظهار، ما دليلكم؟ قالوا دليلنا عموم اللفظ ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا... ﴾ [المجادلة:3]، الآيات.
- أما **من يرى أن العبرة ليست بعموم اللفظ وإنما بخصوص السبب** قالوا: نحن لا نأخذ العموم من هذه الآية ولكن نقيس الحادثة التي نزلت عليها هذه الآيات بالحوادث المشابهة لها، فنستدل بهذه الآية استدلالاً قياسياً، وليس استدلالا بعموم اللفظ.

وعند النظر والتأمل في هذين القولين نجد أن **الأقرب**، والله تعالى أعلم، **أن العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب**، وهذا ما سار عليه واختاره جمهور العلماء كأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، وغيرهم، اختاروا هذا القول.
أُنبِّه إلى أن هذه المسألة وان اختلف العلماء فيها، فإن خلافهم لا يدل على أنهم الذين يقولون إن العبرة بخصوص السبب وليس بعموم اللفظ، لا يدل قولهم هذا على أنهم يقصرون هذه الآيات على من نزلت عليه فقط، بل يقولون إننا نقصرها عليهم من حيث سبب النزول، ولكن من حيث الحكم فإنه ينطبق عليهم وعلى غيرهم عن طريق القياس.

بهذا نكون قد انتهينا من المسائل المتعلقة بعلم أسباب النزول.
أسأل الله عز وجل لي ولكم التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **إسراء الزعيم**

قام بالمراجعة الأولى والتدقيق: **خلدون الأتاسي**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**



علوم القرآن

د. عمر عبد العزيز الدهيشي

المحاضرة الثالثة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: فهذه الحلقة الثالثة عشرة من حلقات مقرر علوم القرآن المستوى الأول من برنامج السعدي. بادئ ذي بدء، أحيي الجميع بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أسأل الله عز وجل لي ولكم التوفيق والتسديد.
بإذن الله عز وجل في هذه المحاضرة نأخذ علما جديدا من علوم القرآن، وهذا العلم من الأهمية بمكان، بل من المؤلفين الذين ألفوا وجمعوا علوم القرآن في مصنف واحد وحاولوا جاهدين على أن يجمعوا ويضُمُّوا جميع العلوم المتعلقة بهذا العلم، جعلوا هذا العلم هو فاتحة العلوم في كتبهم، وما ذاك إلا لأهميته ومكانته من بين علوم القرآن . هذا العلم هو علم المكي والمدني.

علم المكي والمدني

يعتبر هذا العلم من أشرف العلوم وأهمها؛ ولذا صدَّره الإمام **السُّيوطي** في مقدمةَ عُلومِه الثمانين في كتابه ***الإتقان في علوم القرآن***. وقد بيَّن العلماء أهمية هذا العلم؛ ومن ذلك قول أبو القاسم **الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري** في كتاب ***التنبيه على فضل علوم القرآن***: "من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة و المدينة، و ما نزل بمكة و حكمه مدني، و ما نزل بالمدينة و حكمه مكي، و ما نزل بمكة في أهل مكة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية وما نزل ليلاً وما نزل نهاراً، وما نزل مشيعاً (مثل سور الأنعام وسورة الفاتحة و آية الكرسي) ، وما نزل مفرداً، والأيات المدنيات من السور المكية، و الأيات المكيات من السور المدنية، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة، وما نزل مجملاً، وما نزل مفسراً، وما اختلفوا فيه ، فقال بعضهم مدني و بعضهم مكي، فهذه خمسة و عشرون وجهاً من لم يعرفها و يُمَيِّزها لم يَحِلْ له أن يتكلم في كتاب الله" انتهى كلامه.

فبهذا العلم استعانوا على تفسير القرآن، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وتاريخ التشريع الإسلامي وغير ذلك. وقد اعتنى العلماء -رحمهم الله- عناية فائقة بمعرفة مكان النزول وزمن النزول؛ لما في معرفة ذلك من الفوائد العديدة المتعلقة بفهم النصوص القرآنية واستيفاء معانيها. قال عليّ - رضي الله تعالى عنه -: "والله ما نزلت آية إلا وقد عَلِمتُ فيمَ أُنزلت وأين أُنزلت، إن ربي وَهَب لي قلبًا عقولًا ولسانًا سَؤولًا". وفي هذا السياق يقول ابن مسعود -رضي الله عنه-، وقد سبق معنا نقلُ هذا القول في مواطن متعددة، يقول -رضي الله عنه-: "والله الذي لا إله غيره، ما

أُنزلت سورة من كتاب الله تعالى إلا أنا أَعلمُ أين أُنزلت، ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أُنزلت، ولو أعلم أحداً أعلمُ مني بكتاب الله تَبلُغْه الإبل لَرَكبت إليه.".

✓ من المؤلفات في علم المكي والمدني:

أَفردَ جماعة من العلماء هذا العلم بالتأليف والتصنيف في كتب مستقلة و تآليف مفردة، ومن ذلك:

- **الضَّحَّاك ابن مُزاحم الهلالي** له كتاب أسماه ***نزول القرآن***،
- وكتاب الإمام **محمد بن مسلم بن شهاب الزهري** اسمه ***تنزيل القرآن***،
- وأيضا كتاب **مكّي ابن أبي طالب القيسي** في هذا العلم سماه ***كتاب المكي والمدني***،

وغيرهم كثير، فهناك كتبٌ كثيرة أُلّفت في هذا العلم، تقريبا لا يخلو قرن من القرون إلا فيه جُملة كتب ألفت في هذا العلم. وفي عصرنا الحاضر كذلك أُلفت كتب في هذا العلم ومن ذلك:

- ***المكي والمدني في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية نقدية للسور والآيات من أول القرآن إلى نهاية سورة الإسراء***، لعبدالرزاق حسين أحمد، والذي كَتبَ مقدّمات تتعلق بهذا العلم، ثم درس النصف الأول من القرآن الكريم في تحديد مكي السور من مدنيها،
- وكذلك هناك دراسة تكميلية من سورة الكهف إلى آخر سور القرآن: ***المكي والمدني من السور والآيات من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس***، للدكتور محمد عبد العزيز عبد الله الفالح.

والمؤلفات في ذلك كثيرة، ناهيك عن المؤلفات التي تُضَمَّن ضِمن علوم القرآن، فغالبًا لا تجدُ كتابا في علوم القرآن إلا ووجدت عِلم المَكّي والمَدَني من أوائل العلوم التي يذكرها الكتاب.

✓ الضوابط التي يعرف بها المكي والمدني

ما هو ضابط المكي والمدني؟ متى نقول هذه السورة مكية وهذه السورة مدنية؟ اختلف العلماء في الضابط الذي يُمَيَّزُ به بين المكي والمدني إلى ثلاث اعتبارات :

(1) باعتبار مكان النزول:

من العلماء من قال: نُميّز المكي والمدني باعتبار مكان النزول. قالوا: ما نزل والنبي صلى الله عليه وسلم في مكة فإنه مكي، وما نزل عليه القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة فهو مدني. وعليه فقول الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة:3]، هذه الآية التي نزلت في حجة الوداع في مكة يَعدُّونها مكية، يقولون: العبرة بمكان نزول الآية أو السورة. وإذا تأملنا في هذا القول نجد أنه غير حاصر، فهناك آيات وسور نزلت في غير مكة والمدينة، طيب، نلحقها بالمكي أو نلحقها بالمدني؟ فهذا مما أُخِذَ على هذا الاعتبار. هناك آيات نزلت في الطائف، وهناك آيات نزلت في تبوك، وهناك آيات نزلت في غيرها

(2) باعتبار المخاطبين بالآيات:

من العلماء من اعتبر أن الضَّابط في التفريق بين المكي والمدني هو باعتبار المخاطَبين بالآيات، فإذا كانت الآيات مناسبة لخطاب أهل مكة من المشركين والمعرضين عن الإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم، فهي سورة مكية، وإذا كانت هذه الآيات مناسبة لأهل المدينة أي "المجتمع المُؤمِن" فهي مدنية. فهؤلاء ينظرون إلى الموضوعات التي اشتملت عليها هذه الآيات وهذه السور. وعند النظر في هذا الإعتبار نجد كذلك أنه غير مُنضَبط وحاصِر، فهناك سور لم تشتمل على خطابات لا لأهلِ مكة ولا لأهلِ المدينة. فهل نَعدُّها مكية أم مدنية؟

(3) باعتبار هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة للمدينة:

من العلماء من اعتبر أن الحد الفاصل بين المكي والمدني هو هجرة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الهجرة حدث كبير في مَسِيرَة سِيرته عليه الصلاة والسلام. وتَغيَّر أو اختَلفَ الخِطاب الذي كان ينزل في المدينة عن الخِطاب الذي كان ينزل في مكة، وشُرِعت أحكام لم تُشرع إلا في المدينة، نزلت أحكام فيها تحريم وإيجاب في المدينة، فعدَّوا الحد الفاصل بين المكي والمدني هو هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: **ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني** حتى لو نزل بعد الهجرة والنبي صلى الله عليه وسلم في مكة فإنه يعد مدنيا ولا يعد مكيا، وعليه فقول الله عز وجل: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة:3]، قالوا: أنها مدنية وليست مكية، وإن كانت نزلت في مكة؛ لأنهم يعتبرون الحد الفاصل هو هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني. وحقيقة هذا الحد فاصل ومنضبط، ويشمل جميع الأزمان وجميع الأمكنة، سواء نزل في الطائف أو نزل في تبوك، ننظر هل هو نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني .

ونأتي إلى مسألة ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة في أثناء هجرته عليه الصلاة والسلام. يقول يحيى بن سلّام: "ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فهو من المكي، وما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره - خارج المدينة سواء في مكة أو غيرها - بعد ما قَدِم المدينة فهو من المدني ، وما كان من القرآن {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فهو مدني ، وما كان {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} فهو مكي"، وهذا سنأتي إليه في تضاعيف الحديث عن هذا العلم.

نَخلُص من هذا إلى أن الضابط الأقرب في التمييز بين المكي والمدني - والله أعلم – هو: **هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، فما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني، وما نزل في أثناء الهجرة قبل أن يصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فهو مكي**، كما قال يحيى بن سلّام -رحمه الله-. كذلك الآيات التي نزلت في

الطائف، الآيات التي نزلت في تبوك، الآيات التي نزلت في الجُحفَة وغيرها من الآيات، ننظر هل هي نزلت قبل الهجرة أم بعدها؟ فما كان بعدها فإنه مدني ولو نزل بمكة .

✓ خصائص المكي والمدني

ما هي خصائص المكي والمدني؟ ورد عن السلف -رحمهم الله- ذِكرٌ لبعض خصائص المكي والمدني، كقول ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فإنه نزل بالمدينة، وما كان {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} فإنه نزل بمكة أو كما قال-رضي الله عنه-. وفي هذا السياق يقول عكرمة: كل سورة فيها {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فهي مدنية.

والأصل في هذا العلم أعني - علم المكي والمدني - هو النَّقل والسَّمَاع والرِّواية، وليس فيه ما هو قابل للاجتهاد، وسبيل العلم به عن طريق الصحابة -رضي الله عنهم- ممن عاصروا الوقائع وشاهدوا التنزيل، فهم العُمدة في هذا العلم. وما هذه الخصائص - خصائص المكي والمدني - إلّا أَمارات وعلامات لتحديد نوع السورة، أما الأصل في ذلك هو السَّماع والنَّقل والرواية. فالعلماء اجتهدوا في بيان خصائص السورالمكية والسور المدنية، وعُمدتُهم في ذلك هو ما جاء عن طريق الرواية أنّ هذه السورة مكية أو السورة مدينة.

خصائص السور المكية

قد ذكر العلماء جملة من الخصائص والمزايا للسور المكية، ومن ذلك قولهم:

- كل سورة فيها (كلّا) فهي مكية، كل سورة ورد فيه (كلّا) التي هي للردع والزجر، قالوا أنها مناسبة لأهل مكة لأنهم كانوا كفاراً وكان أغلبهم من المشركين ومن الكفار، كقول الله عز وجل: {كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين:14]، {كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا} [الفجر:21]، {كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ} [القيامة:20]. قال العلماء: كل سورة فيها (كلّا) فهي مكية. و(كلّا) وردت في القرآن ثلاثا وثلاثين مرة، وذلك في خمس عشرة سورة، وهذه السوركلها في النصف الأخير من القرآن.
- كل سورة فيها سجدة أي - سجدة تلاوة - فهي مكية، وهي أربع عشرة سورة، يستثنى من ذلك آية من آيتي سورة الحج عند من يقول إنها مدنية، السور التي فيها سجدة: (الأعراف)، (الرعد)، (النحل)، (الإسراء)، (مريم)، (الحج)، (الفرقان)، (النمل)، (السجدة)، (ص)، (فصلت)، (النجم)، (الانشقاق)، (العلق).
- كل سورة مبدوءة بقسم، فهي مكية وهي خمس عشرة سورة .
- كل سورة مُفتتَحة بأحرف التَّهَجّي، مثل: (الم)، (حم)، (طس)، (طسم)، (ص)، (ق) وهذا حقيقةً - أعني كل سورة تبدأ بأحرف التهجي - هذا حدٌ أَغلَبي وليس حدًا كليا؛ لأنه يستثنى من هذا سورة البقرة، وسورة آل عمران، وفي سورة الرعد خلاف هل هي مكية أم مدنية.

- كل سورة فيها {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} وليس فيها {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا} فهي مكية، وهذا أيضا أغلبي وليس كلي. فسورة السجدة على قول من يرى أنها مدنية فيها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا) وفيها(يَا أَيُّهَا النَّاسُ).
- كل سورة مفتتحة بالحمد فهي مكية وهي خمس سور: {الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة:1]، {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ...} [الأنعام:1]، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا...} [الكهف:1]، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ...} [سبأ:1]، {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...} [فاطر:1].
- كل سورة فيها تأسيس العقيدة الإسلامية في النفوس بالدعوة إلى عبادة الله وحده والإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وباليوم الآخر فهي مكية.
- كل سورة اشتملت على أصول العبادات والمعاملات والآداب والفضائل فهي مكية.

هذه الخصائص والمزايا دلالات وأمارات على أن هذه السورة سورة مكية.

خصائص السور المدنية

قد ذكر العلماء جملة من الخصائص والمزايا للسور المدنية، ومن ذلك قولهم:

- كل سورة فيها {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا} وليس فيها {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} فهي مدنية .
- كل سورة فيها ذكر للمنافقين فهي مدنية، قال مكي بن أبي طالب: "كل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية"، وزاد غيره: "سوى العنكبوت"، وعليه، فهذا حد أغلبي وليس كلي .
- كل سورة فيها حَدٌّ، أو بيان فريضة فإنها مدنية، قال عروة بن الزبير: "ما كان من حَدٍّ أو فريضة فإنه أُنزل في المدينة".
- السور المدنية تتميز في الغالب بطول المقاطع والآيات؛ وذلك لبَسْط العقائد الإسلامية والأحكام التشريعية.
- السور المدنية كذلك يُذكر فيها أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ لأن اليهود والنصارى كانوا في المدينة .
- السور المدنية تتحدث عن المنافقين وأعمالهم وتصرفاتهم، فإن النفاق لم يحصل ولم يحدث إلا في العهد المدني، وهو حال المنافقين أنهم لا يخرجون ولا يُوجدون إلا في حال القوة؛ قوة الأمة الإسلامية، فإذا قوت هذه الأمة فإنه يخرج المنافقون.

نكتفي بهذا القدر، ونواصل الحديث بإذن الله عز وجل في محاضرة قادمة .

أسأل الله عز وجل لي ولكم التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **سعاد إبراهيم**

قام بالمراجعة الأولى والتدقيق: **رغد**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**



علوم القرآن

د. عمر عبد العزيز الدهيشي

المحاضرة الرابعة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فهذه الحلقة الرابعة عشر من حلقات مقرر علوم القرآن ضمن برنامج السعدي. بادئ ذي بدء أحيي الجميع بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسأل الله عز وجل أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، يا معلم داوود علمنا، ويا مفهم سليمان فهمنا.

نواصل الحديث - في هذه المحاضرة - بإذن الله - عز وجل عن المسائل المتعلقة بـ **علم المكي والمدني**، فقد تكلمنا في المحاضرة الماضية عن أهمية هذا العلم، ثم عرَّجنا على خصائص السور المكية والمدنية، وقبلها تكلمنا عن الحد أو الضابط للمكي والمدني، وقد قلنا أن الراجح في ذلك: أن ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني، وهذا حدٌّ ضابط وحاصر. نأتي الآن إلى مسألة جديدة وهي:

✓ الطريق إلى معرفة المكي والمدني

ما هو الطريق لمعرفة السور المكية والسور المدنية؟ كيف نعرف أن هذه السورة مكية وأن هذه السورة مدنية؟ ما ذكرت في المحاضرة السابقة من خصائص السور المكية والمدنية، فقد ذكرت أنها علامات وأمارات ولكنها ليست حدا فاصلا لمعرفة المكي من المدني من آي القرآن الكريم، فيا ترى ما هو الطريق لمعرفة هل هذه السورة مكية أو السورة مدنية؟

الطريق الأول: النقليّ السماعيّ

هذا الطريق الأول هو الأساس والأصل وإليه المرجع، وهو طريق الرواية والسماع والنقل، ينقلها المتأخر عن المتقدم، ينقلها التابعون عن الصحابة، وتابع التابعين عن التابعين وهكذا، فقد وردت روايات كثيرة في تعداد السور المكية والسور المدنية، وذلك عن بعض الصحابة والتابعين وأتباعهم، وهذه الروايات؛ إما **أن تكون جامعة لكل سور القرآن**، أو **تكون واردة في تخصيص طائفة من السور**، أو **تكون بإفراد كل سورة على حدة والتنصيص عليها**. فهذه ثلاث مناهج لما يتعلق بالرواية بالطريق الأول، طريق الرواية والسماع والنقل.

1. أن تكون الرواية جامعة لكل سور القرآن، ومنها ما ذكره **السيوطي** في كتابه ***الاتقان في علوم القرآن*** في تعريف المكي والمدني حيث قال:

((وَقَالَ **أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ** فِي كِتَابِهِ **"النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ"**: حَدَّثَنِي يَمُوتُ بْنُ الْمُزَرِّعِ، حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ السِّجِسْتَانِيُّ، أَنْبَأَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ: سَمِعْتُ أَبَا عَمْرِو بْنَ الْعَلَاءِ يَقُولُ: سَأَلْتُ مُجَاهِدًا عَنْ تَلْخِيصِ آيِ الْقُرْآنِ، الْمَدَنِيِّ مِنَ الْمَكِّيِّ، فَقَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: سُورَةُ الْأَنْعَامِ: نَزَلَتْ بِمَكَّةَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَهِيَ مَكِّيَّةٌ إِلَّا ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْهَا نَزَلْنَ بِالْمَدِينَةِ: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ} [151-153] إِلَى تَمَامِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ، وَمَا تَقَدَّمَ مِنَ السُّوَرِ مَدَنِيَّاتٌ. وَنَزَلَتْ بِمَكَّةَ سُورَةُ الْأَعْرَافِ وَيُونُسَ وَهُودٍ وَيُوسُفَ وَالرَّعْدِ وَإِبْرَاهِيمَ وَالْحِجْرِ وَالنَّحْلِ سِوَى ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا فَإِنَّهُنَّ نَزَلْنَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ فِي مُنْصَرَفِهِ مِنْ أُحُدٍ، وَسُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْكَهْفِ وَمَرْيَمَ وَطه وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْحَجِّ سِوَى ثَلَاثِ آيَاتٍ: {هَذَانِ خَصْمَانِ} [19-21] إِلَى تَمَامِ الآيَاتِ الثَّلَاثِ فَإِنَّهُنَّ نَزَلْنَ بِالْمَدِينَةِ، وَسُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ وَالْفُرْقَانِ وَسُورَةُ الشُّعَرَاءِ سِوَى خَمْسِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا نَزَلْنَ بِالْمَدِينَةِ: {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [224] إِلَى آخِرِهَا، وَسُورَةُ النَّمْلِ وَالْقَصَصِ وَالْعَنْكَبُوتِ وَالرُّومِ وَلُقْمَانَ سِوَى ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْهَا نَزَلْنَ بِالْمَدِينَةِ: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ} [27-29] إِلَى تَمَامِ الْآيَاتِ، وَسُورَةُ السَّجْدَةِ سِوَى ثَلَاثِ آيَاتٍ: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا} [18-20] إِلَى تَمَامِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ، وَسُورَةُ سَبَأٍ وَفَاطِرٍ وَيس وَالصَّافَّاتِ وَص وَالزُّمَرِ سِوَى ثَلَاثِ آيَاتٍ نَزَلْنَ بِالْمَدِينَةِ فِي وَحْشِيٍّ قَاتِلِ حَمْزَةَ: {يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا} [53] إِلَى تَمَامِ الثَّلَاثِ آيَاتٍ، وَالْحَوَامِيمُ السَّبْعُ وَق وَالذَّارِيَاتُ وَالطُّورُ وَالنَّجْمُ وَالْقَمَرُ وَالرَّحْمَنُ وَالْوَاقِعَةُ وَالصَّفُّ وَالتَّغَابُنُ إِلَّا آيَاتٌ مِنْ آخِرِهَا نَزَلْنَ بِالْمَدِينَةِ، وَالْمُلْكُ وَن وَالْحَاقَّةُ وَسَأَلَ وَسُورَةُ نُوحٍ وَالْجِنِّ وَالْمُزَّمِّلِ إِلَّا آيَتَيْنِ {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ} [20]، وَالْمُدَّثِّرِ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ إِلَّا إِذَا زُلْزِلَتِ وَ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ فَإِنَّهُنَّ مَدَنِيَّاتٌ، وَنَزَلَ بِالْمَدِينَةِ سُورَةُ الْأَنْفَالِ وَبَرَاءَةٍ وَالنُّورِ وَالْأَحْزَابِ وَسُورَةُ مُحَمَّدٍ وَالْفَتْحِ وَالْحُجُرَاتِ وَالْحَدِيدِ وَمَا بَعْدَهَا إِلَى التَّحْرِيمِ، هَكَذَا أَخْرَجَهُ بِطُولِهِ ، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ ، رِجَالُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَشْهُورِينَ.)) انتهى كلام السيوطي.

هذا هو الطريق الأول، وهو أن تأتي رواية تجمع السور كلها.

2. **تخصيص جزء من السورة بوصف جامع لها**، مثاله: ما رواه سمُرة بن جندب رضي الله عنه قال: "نزلت الحواميم جميعا بمكة".

3. **بيان كل سورة على حدة**، وهذا كثير، مثاله: عن ابن الزبير - رضي الله تعالى عنهما - قال: "أنزلت في المدينة سورة النساء"، وعن أبي جحيفة قال عن سورة الأنعام: "كلها مكية إلا: {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ...} [سورة الأنعام :111]، فإنها مدنية"، وكذلك هناك روايات كثيرة رويت عن عائشة، وعن ابن عباس، وعن ابن مسعود -رضي الله تعالى عنهم جميعا- فيها ذكر لمكية أو مدنية سورة على حدة.

الطريق الثاني: القياسي الاجتهادي

الطريق الثاني يستفاد من الطريق الأول، وهو القياس والاجتهاد، وذلك أن العلماء - رحمهم الله - نظروا في الآيات و السور التي عرفوا أنها مكية أو مدنية، عن طريق الرواية، فاستنبطوا خصائص وضوابط للسور المكية، واستنبطوا كذلك خصائص وضوابط للسور المدنية، ثم نظروا في السور التي لم يرد في بيان مكان نزولها، فإن وجدوا فيها شيئا من خصائص السور المكية، قالوا أنها مكية، وإن وجدوا فيها خصائص السور المدنية، قالو أنها مدنية، وهذا يكون بالاجتهاد والقياس؛ أما العمدة في ذلك، في هذا الباب، فهو الرواية والنقل والسماع.

✓ **هل من الممكن أن تكون هناك سورة مكية ويستثنى منها بعض الآيات؟ أم أن السورة في الأصل تكون كلها مكية، أو تكون كلها مدنية؟**

تكلم العلماء في هذه المسألة، فقد ورد عن الصحابة والتابعين وأتباعهم بعض الآثار التي يذكرون فيها أن السورة مكية إلا آيات منها، وكذلك أن السورة مدنية إلا آيات منها، مثال ذلك:

- عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : "سُورَةُ الرَّعْدِ مَدَنِيَّةٌ إِلَّا آيَةً مَكِّيَّةً {وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ} [سورة الرعد :31]"
- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنه- قَالَ : " وَسُورَةُ النَّحْلِ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ فَهِيَ مَكِّيَّةٌ سِوَى ثَلاثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا فَإِنَّهُنَّ نَزَلْنَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فِي مُنْصَرَفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أُحُدٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قُتِلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَئِنْ أَظْفَرَنِي اللَّهُ بِهِمْ لأُمَثِّلَنَّ بِثَلاثِينَ مِنْهُمْ "، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَئِنْ أَظْفَرَنَا اللَّهُ بِهِمْ لَنُمَثِّلَنَّ بِهِمْ تَمْثِيلا لَمْ يُمَثِّلْ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ثَلاثَ آيَاتٍ , وَهُنَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} [سورة النحل آية 126] وَمَا نَزَلَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَهُوَ مَدَنِيٌّ. "

فيقال في مسألة الآيات المستثناة، الأصل أن يحكم للسورة كلها بأنها من المكي، أو أنها من المدني، وأن الاستثناء خلاف الأصل، ولا بد من نص صحيح للصحابة، أو التابعين، وإذا ورد هذا الاستثناء نعرض عليها الاحتمالات العقلية، هل الاستثناء صحيح؟ قد يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية المكية في حدث مدني، فتوهم الصحابي أنها نزلت للتو، فحكم بمدنيتها، وغير ذلك من الافتراضات والاحتمالات العقلية التي تطرح في هذا الباب.

يقول رشيد رضا، وهو المفسر المعروف: "لما كان وجود آيات مدنية في سورة مكية، أو آيات مكية في سورة مدنية، خلاف الأصل، فالمختار عدم قبول القول به، إلا إذا ثبت برواية صحيحة السند، صريحة المتن، سالمة من المعارضة والاحتمال" انتهى كلامه.

✓ عدد السور المكية وعدد السور المدنية

نأتي بعد ذلك إلى مسألة جديدة في علم المكي والمدني وهي تتعلق بعدد السور المكية وعدد السور المدنية. اختلف العلماء في عدد السور المدنية، وفي عدد السور المكية، فقد نُقل عن ابن حصّار أن المدني عشرون سورة، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة، وما عدا ذلك فهو مكي. قالوا إن السور المدنية هي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادِلة - أو المجادَلة كلاهما صحيح -، والحشر، الممتحَنة، الجمعة، المنافقون، الطلاق، التحريم، النصر، واختلفوا في اثنتي عشرة سورة: الفاتحة، والرعد، الرحمن، والصف، والتغابن، المطففين، والقدر، البينة، والزلزلة، والإخلاص، والفلق، والناس؛ وما عداها سور مكية، وهي اثنتان وثمانون سورة. هذا إحصاءٌ تقريبي؛ لأن العلماء اختلفوا في بعض هذه السور، هل هي مكية أم مدنية، وهي تقريباً اثنتا عشرة سورة، وهذا التحديد كما مر معنا سابقا هو عن طريق الرواية والنقل والسماع، أو عن طريق القياس بالأمارات والخصائص التي عرفنا من خلاها أن هذه السورة مكية أو مدنية، فنقيس عليها السور التي لم يبلغنا رواية أنها مكية أو أنها مدنية.

✓ فوائد معرفة المكي والمدني

قد يقول قائل ما هي الفوائد التي نحصل عليها بمعرفة هذا العلم؟ هل له فوائد؟ هل له أثر؟ نقول: نعم، بلا شك، ومن ذلك:

- **معرفة الناسخ والمنسوخ**، فإن المتأخر ينسخ المتقدم، وإذا تعامل المُفَسِّر مع الآيات قد تكون هناك آية أو تكون هناك آيتان في موضوع واحد، فما ندري هل هذه ناسخة لتلك، أو تلك ناسخة للتي في السورة الأخرى، فنرجع إلى المكي والمدني، وننظر متى نزلت هذه، ومتى نزلت تلك، فإذا كانت الآية الأولى نزلت في مكة، فإن الآية الثانية تكون ناسخة للآية التي نزلت في مكة، وهذا يترتب عليه الكثير من المسائل المهمة في فهم النصوص القرآنية، مثال ذلك: ما رواه سعيد بن جبير - رحمه الله - قال:

"قلت لابن عباس: أَلِمَن قتَل مؤمنًا متعمدًا من توبةٍ؟ قال: لا، قال: فتلَوتُ عليه هذه الآية التي في الفرقان: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} [سورة الفرقان: 68-70]، قال ابن عباس: هذه آية مكية - هذا هو الشاهد - نسختها آية مدنية: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [سورة النساء 93] الآية".

- كذلك من فوائد معرفة المكي والمدني، **معرفة تاريخ التشريع الإسلامي وتدرجه في التكليف**، ويترتب على هذا الإيمان، بأن هذا التدرج لا يكون إلا من عليم خبير سبحانه، فمثلا: في تحريم الخمر تقول عائشة - رضي الله تعالى عنها -: "لو نزل أول ما نزل من القرآن - أي في العهد المكي - لا تزنوا، ولا تشربوا الخمر، لما آمن الناس"، فنزول الخمر، هذا البلاء الذي تشربت به نفوس العرب في ذلك الزمن، وكان شربا أساسيا لا يمكن أن ينفكوا عنه، جاء القرآن الكريم في تحريمه بمراحل، فلم يُحَرَّم جملة واحدة، فأول ما نزل في سورة النحل، وهي سورة مكية، يقول سبحانه: {وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا} [سورة النحل 67]، ثم بعد ذلك نزل قوله سبحانه وتعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} [سورة البقرة: 219]، ثم بعد ذلك نزل قول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ...} الآية [سورة النساء: 43]، يجوز لكم أن تشربوا، أي: عند نزول هذه الآية، أي يجوز لكم أن تشربوا الخمر، ولكن لا تشربوها قبل الصلاة؛ حتى لا تصلوا وأنتم سكارى لا تدرون ماذا تقولون، ثم نزل قول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ} [سورة المائدة :90]. فنزول تحريم الخمر كان متدرجا، فبمعرفتنا بالمكي والمدني، عرفنا هذا التدرج وهذا التاريخ التشريعي لهذا الحكم. كذلك في الجهاد، وكذلك كثير من الأحكام الشرعية نزلت بالتدرج. إذن، فمعرفتنا بالسور المكية من المدنية يساعدنا على معرفة التاريخ التشريعي.

- الاستعانة بمعرفة المكي و المدني **يساعدنا في تفسير القرآن الكريم**، فإن معرفة مكان النزول يعين على فهم المراد بالآية، ومعرفة مدلولاتها، وما يرد فيها من إشارات وفوائد، مثال ذلك: هب أن قارئًا قرأ سورة الكافرون، وبالتحديد قوله تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [سورة الكافرون :6] ، ولم يعلم نزول الآية وهل هي مكية أو مدنية، فإنه يحار وبلا شك في معنى الآية؛ إذ أنه يُفهم من الآية أن المسلمين غير مكلفين بالجهاد، ولكن إذا علم أن السورة إنما نزلت بمكة، أدرك أن هذه السورة علاج للمرحلة التي كان فيها النبي صلى الله عليه وسلم، وليست دليلا على عدم مشروعية الجهاد.

- من فوائد معرفة المكي والمدني، أنها **تساعدنا على استخراج سيرة النبي صلى الله عليه وسلم**، وذلك بمتابعة أحواله بمكة، ومواقفه في الدعوة، ثم بأحواله في المدينة، وسيرته في الدعوة إلى الله تعالى.

- من الفوائد: **الاستفادة من أسلوب القرآن في الدعوة إلى الله تعالى**، فهو أسلوب يشتد ويلين، ويفصل ويجمل، ويعد ويتوعد، ويرغب ويرهب، ويوجز ويطنب، حسب أحوال المخاطبين، وهذا من أسرار الإعجاز في القرآن الكريم.

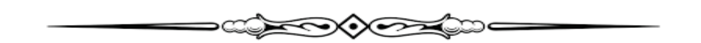
- أيضا من الفوائد: **الثقة بهذا القرآن الكريم، وبوصوله إلينا سالما من التغييروالتحريف**، إذا كان الصحابة يعرفون أين نزلت هذه السورة، وأين نزلت هذه الآية، مكانها، زمنها، مما يدل على أن هذه الأمة بذلت جهدا كبيرا وعظيما في المحافظة على هذا الكتاب العزيز، فهو وصل إلينا غضا طريا كما أُنزل.

نكتفي بهذا القدر، ونواصل الحديث بإذن الله عز وجل في محاضرة قادمة.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **راجية الجنة**
قام بالمراجعة الأولى والتدقيق: **أخ في الله**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**



علوم القرآن

د. عمر عبد العزيز الدهيشي

المحاضرة الخامسة عشرة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، فهذه الحلقة الخامسة عشرة من حلقات مقرر علوم القرآن. بادئ ذي بدء، أحيي الجميع بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أسأل الله -عز وجل- لي ولكم التوفيق والتسديد، وأسأله -سبحانه وتعالى- أن يرزقنا جميعا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يتقبل منا جميعا.

بإذن الله -عز وجل- في هذه المحاضرة نأخذ علمًا جديدًا من علوم القرآن، وهذا العلم هو **علم فضائل القرآن**، وقد خصها جُلُّ مَن كَتَب في علوم القرآن بمزيد ذكر وعناية واهتمام، فلا يخلو كتابٌ في علوم القرآن إلا ويذكر هذا العلم ضمن أبوابه وعلومه، وما ذاك إلا لأهمية هذا العلم، وكذلك أن السنة النبوية حافلة بالأحاديث المتعددة والمتنوعة في ذكر فضائل القرآن، ففضائل القرآن علمها ودراستها ومدارستها مما يعين على تدبر كتاب الله -عز وجل- ، والتلذذ بحلو خطابه، والاهتداء بهديه، فمعرفة فضائله، واستحضار الأجور المترتبة على تلاوته -تلاوة القرآن- والآثار الظاهرة على قارئه، والمستمع إليه، كلها مما يُبين ويُظهر أهمية هذا العلم.

علم فضائل القرآن

يشمل علم فضائل القرآن عدداً من الموضوعات التي تتعلق بما ورد لهذا القرآن الكريم من فضائل كثيرة، والتي يمكن أن نصنفها إلى ثلاثة أنواع:

أولًا: فضائل القرآن عامة.

ثانيا: فضائل السور.

ثالثا: فضائل الآيات.

كما يدخل موضوع **تفاضل القرآن** ضمن ما يشمله هذا العلم من موضوعات.

✓ أولاً- فضائل القرآن العامة

لهذا القرآن الكريم فضائل عامة، فضَّلَته على ما سواه من الكتب السماوية، ومن باب أولى على ما سواه من سائر الكتب البشرية.

1. الفضيلة الأولى لهذا القرآن هي: **تفضيل كتاب الله -عز وجل- على ما سواه من الكتب السماوية، وكلامه تعالى على غيره من الكلام**، ودليل ذلك:

ما رواه جابر بن عبد الله -رضي الله تعالى عنهما- قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته واشتد غضبه. حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبحكم ومساكم. ويقول: (بعثت أنا والساعة كهاتين) ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: (أما بعد. فإن خير الحديث كتاب الله. وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة)..." الحديث رواه الإمام مسلم.

2. كذلك من فضائل القرآن العامة: **الثواب الأخروي لتالي كتاب الله تعالى**. ودليله :

ما رواه أبو أمامة الباهلي -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه)، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (يجيء القرآن يوم القيامة، فيقول: يا رب حلِّه، فيُلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارق، وتُزاد بكل آية حسنة)، الحديث رواه الترمذي في سننه.

3. أيضًا من فضائل القرآن العامة: **تفضيل أصحابه -أصحاب القرآن- وتقديمهم على غيرهم**. ودليله:

عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: "إن نبيكم -صلى الله عليه وسلم- قد قال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين)". وفي الحديث الآخر الذي رواه عمرو بن سلمة -رضي الله عنه- قال: "فلما كانت وقعةُ أهلِ الفتحِ، بادر كلُّ قومٍ بإسلامهم، وبدر أبي قومي بإسلامِهم، فلما قدم قال : جئتُكم واللهِ من عند النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حقًّا، فقال : (صلوا صلاةَ كذا في حين كذا، وصلُّوا كذا في حين كذا، فإذا حضرتِ الصلاةُ فلْيؤذِّن أحدُكم، وليؤمكم أكثرُكم قرآنًا)، فنظروا فلم يكن أحد أكثرَ قرآنًا مني، لما كنت أتلقى من الركبان، فقدَّموني بين أيديهم، وأنا ابن ستِّ أو سبعِ سنين...."، الحديث رواه الإمام البخاري. صبيٌ صغيرٌ قُدِّم وفضِّل على من هو أكبر منه من الرجال بفضيلة هذا القرآن الكريم (يؤمكم أكثركم قرآنًا)، ففيه تفضيلٌ على غيره وتقديمٌ على من سواه.

4. أيضًا من فضائل القرآن العامة: **فضيلة تعَلُّمه وتعليمه وتلاوته**، فإنَّ لتعلُّمِ القرآنِ وتعليمِه وتدريسِه أيضًا وتلاوتِه فضيلةً ومكانةً عليةً، ودليله: في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)، وفي الحديث الآخر حديث عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال: "خرج رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ونحنُ في الصُفَّةِ . فقال: (أيكم يحبُّ أن يغدو كلَّ يومٍ إلى بطحانَ أو إلى العقيقِ فيأتي منهُ بناقتيْنِ كوماويْنِ ، في غيرِ إثمٍ ولا قطعِ رحمٍ؟)، فقلنا : يا رسولَ اللهِ! نحبُّ ذلك، قال: (أفلا يغدو أحدكم إلى المسجدِ فيُعَلِّمَ أو يقرأَ آيتيْنِ من كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ خيرٌ لهُ من ناقتيْنِ . وثلاثٌ خيرٌ لهُ من ثلاثٍ . وأربعٌ خيرٌ لهُ من أربعٍ . ومن أعدادهنَّ من الإبلِ)" الحديث رواه مسلم.

هذه إلماحة سريعة لفضل القرآن عموما، ولو استطردنا وأسهبنا الحديث في فضائل القرآن لطال بنا الحديث، ولأمضينا الحلقة والحلقتين في الحديث عن فضائل القرآن، وهي لا تخفى على شريف علمكم، ولكن أردت أن أذكر نبذةً من تلك الفضائل، وأقتصر على جزء من الأحاديث التي وردت في ذكر تلك الفضائل.

✓ ثانياً - فضائل السور

يدخل ضمن فضائل القرآن: الفضائل الخاصة بسورة معينة، أو مجموعة سور معينة، وقد ورد في السنة النبوية مجموعة أحاديث في ذكر فضائل السور، وهي على أصناف وأنواع، أعني بها الأحاديث الورادة في فضائل السور.

1. **فضائل سورة مفردة:** قد تأتي تلك الفضائل في سورة مفردة، ومن ذلك ما ورد في فضل سورة البقرة، وما ورد في سورة الفتح وغيرهما.

فعن أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: (اقْرَؤوا القرآنَ . فإنه يأتي يومَ القيامةِ شفيعًا لأصحابه . اقرَؤوا الزَّهرَاوَين: البقرةَ وسورةَ آلِ عمرانَ . فإنهما تأتِيان يومَ القيامةِ كأنهما غَمامتانِ أو كأنهما غَيايتانِ أو كأنهما فِرْقانِ من طيرٍ صوافَّ تُحاجّان عن أصحابهما، اقرَؤوا سورةَالبقرةِ فإنَّ أَخْذَها بركةٌ وتركَها حسرةٌ **.ولا يستطيعُها البَطَلَةُ)** الحديث رواه مسلم.

وفي صحيح البخاري: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره ، وعمر ابن الخطاب يسير معه ليلا ، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر بن الخطاب : ثكلت أم عمر ، نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، كل ذلك لا يجيبك ، قال عمر : فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس ، وخشيت أن ينزل في القرآن فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ بي ، فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن ، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه ، فقال : (لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس) . ثم قرأ : { إنا فتحنا لك فتحا مبينا } "

2. وقد يرد **فضلٌ لسورٍ ثنائيةٍ**، ذكرنا قبل قليل لسورٍ مفردة، لسورة واحدة ينص عليها النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وقد يرد فضل لسورٍ ثنائية، كفضل سورتي البقرة وآل عمران، وسورتي المعوذتين.

فعن أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه- قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (اقْرَؤوا القرآنَ . فإنه يأتي يومَ القيامةِ شفيعًا لأصحابه اقرَؤوا **الزَّهرَاوَين:** البقرةَ **وسورةَ آلِ عمرانَ** فإنهما تأتِيان يومَ القيامةِ كأنهما غَمامتانِ أو كأنهما غَيايتانِ أو كأنهما فِرْقانِ من طيرٍ صوافَّ تُحاجّان عن أصحابهما، اقرَؤوا سورةَالبقرةِ فإنَّ أَخْذَها بركةٌ وتركَها حسرةٌ .ولا يستطيعُها البَطَلَةُ) الحديث رواه مسلم.

وعن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)".

3. وقد يرد **فضلٌ لمجموعةِ سورٍ من القرآن**، وتُجمع في وصف واحد، وتُعرف باسمٍ جامعٍ لها.

ومن ذلك ما روته عائشة -رضي الله تعالى عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (من أخذ السبع الأُول من القرآن فهو حبرٌ)، رواه الإمام أحمد في مسنده، وصححه الحاكم. وقوله -عليه الصلاة والسلام-: (فهو حبر)، الحبر بفتح الحاء وكسرها: أي العالم، وقوله -عليه الصلاة والسلام-: (من أخذ السبع الأول) السور السبع التي هي أول القرآن: سورة البقرة، وآل عمران، وسورة النساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال.

أيضا ما رواه واثلة بن الأسقع -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ)، الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده. يقول ابن جرير صاحب التفسير: "والسبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس، وإنما سميت هذه السور السبع الطوال لطولها على سائر سور القرآن، وأما المئون من السور فهي ما كان من سور القرآن عدد آياته مائة آية، أو تزيد عليها شيئا، أو تنقص منها شيئًا يسيرًا، وأما المثاني فإنها ما تثْنِي المئين فتتلوها، وكأن المئون -السور التي يبلغ آياتها مائة آية- كأنها لها أوائل، وكأن المثاني لها ثواني، وأما المفصل فإنها سميت مفصلًا لكثرة الفصول التي بين سورها بـ (بسم الله الرحمن الرحيم)". انتهى كلام ابن جرير الطبري رحمه الله. المئون ما كان من سور القرآن يبلغ عدد آياته مائة آية، والمثاني فإنها ما جاء بعد المئين فتلتها، فكأن المئين لها أوائل، والمثاني تتلوها، هذا مجمل كلام ابن حجر رحمه الله تعالى في شرحه لحديث واثلة بن الأسقع -رضي الله تعالى عنه.

هذه الفضائل التي ذكرت فضائل واضحة وظاهرة، ونص عليها النبي -صلى الله عليه وسلم- ، سواء كانت في سور مفردة، أو كانت في سور ثنائية، أو كانت في مجموعة سور يجمعها جامع واحد ورابط واحد.

4. مما يلحق بفضائل السور تلك **السور التي كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يداوم على قراءتها في الصلاة بين الحين والآخر**، وهذه تعد فضيلة لهذه السورة. ومن ذلك: قراءة سورتي السجدة والإنسان، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر (ألم تنزيل) السجدة، و(هل أَتَى علَى الإنْسان)". قال ابن حجر: هذا فيه دليل على استحباب قراءة هاتين السورتين في هذه الصلاة من هذا اليوم، لما تشعر الصيغة به من مواظبته -صلى الله عليه وسلم- على ذلك أو إكثاره منه.

وعن النعمان بن بشير -رضي الله عنه- قال: "كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ (سبّح اسم ربِّك الأعلى) و(هل أتاك حديث الغاشية)"، قال: "وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد، يقرأ بهما أيضًا في الصلاتين"، ألا يدل هذا على فضيلة هاتين السورتين؟ بلى، لمحافظة النبي -صلى الله عليه وسلم- عليها وقراءتها، يكررها في الأسبوع مرة، في كل أسبوع يقرؤها، إما في صلاة الفجر، سورة السجدة والإنسان، أو يقرأ بهما في صلاة الجمعة، وهي سورة سبح والغاشية، بل إذا صلّى -صلى الله عليه وسلم- صلاة الاستسقاء أو صلاة العيد فإنه يقرأ بهاتين السورتين، كما ورد ذلك عنه -عليه الصلاة والسلام.

5. أيضا قد تكون هناك **سورة يداوم النبي -صلى الله عليه وسلم- على قراءتها خارج الصلاة**، وهذا يدل على فضيلة هذه السورة. ومن ذلك ما رواه عقبة بن عامر الجهني -رضي الله عنه- قال: "أمرني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن أقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة".

وعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان -رضي الله عنها- قالت: "لقد كان تنُّورنا وتنُّورُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ واحدًا سنتينِ أو سنةً وبعضُ سنةٍ وما أخذتُ (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدُ) إلا عن لسانِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقرؤها كلَّ يومِ جمعةٍ على المنبرِ إذا خطب الناسَ"، رواه مسلم.

6. مما يلحق بفضائل السور: **كون السورة أول ما نزل من القرآن**، هذا يدل على فضيلة هذه السورة، لِمَ؟ لأن الناس لا تذكر إلا الأوائل، ولا يُذكر في أوائل الشيء إلا أفضله وأعظمه.

فعن عائشة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- قالت: "أولُ مَا بُدِئَ به رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من الوَحْيِ **الرؤيا الصادِقَةُ في النَّوْمِ**، فكان لا يَرَى رؤيا إلا جاءتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فكان يأتِي حِرَاءً فيَتَحَنَّثُ فيه، وهو التَّعَبُّدُ، الليالِيَ ذواتِ العَدَدِ، ويَتَزَوَّدُ لذلك، ثم يَرْجِعُ إلى خديجَةَ فتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِها، حتى فَجِئَهُ الحقُّ وهو **في** غارِ حِرَاءٍ، فجاءه المَلَكُ فيه، فقال: اقْرَأْ، فقال له النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : (فقُلْتُ: ما أنا بِقَارِئٍ، فأخَذَني فَغَطَّني حتى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثم أَرْسَلَني فقال: اقْرَأْ، فقُلْتُ: ما أنا بِقَارِئٍ، فأَخَذَني فغَطَّني الثانيةَ حتى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثم أَرْسَلَني فقال: اقْرَأْ، فقُلْتُ: ما أنا بِقَارِئٍ، فأخَذَني فَغَطَّني الثالثةَ حتى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثم أَرْسَلَني فقال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} - حتى بَلَغَ - {عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} فرجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوادِرُهُ، حتى دَخَلَ على خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زَمِّلوني زَمِّلوني» فزَمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوْعُ..." الحديث في صحيح البخاري ومسلم. فالأولية في كل شيء له مزية على غيره، ويكون مما يهتم به ويُعتنى بشأنه، وسورة العلق هي كما مر معنا في مسألة أول ما نزل من القرآن هي على القول الصحيح هي أول ما نزل من كتاب الله -عز وجل- ، فتلحق من هذا الباب بفضائل السور.

7. أيضا مما يلحق بفضائل السور **أمر الله تعالى نبيه -صلى الله عليه وسلم- بتلاوة سورة معينة على أحد أصحابه**، فالله -عز وجل- يأمر نبيه -صلى الله عليه وسلم- بتلاوة سورة معينة من سور القرآن، بأن يقرأها على أحد الصحابة.

ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه- قال: "قال النبي صلى الله عليه وسلم لأُبَيّ : (إن اللهَ أمرني أن أقرأَ عليكَ القرآنَ) . قال أبي: آللّه سمّاني لكَ؟ قال: (اللّه سمّاكَ لِي) فجعل أُبَيّ يبكِي قال قتادة : فأُنبئتُ أنه قرأ عليه : {لَمْ يَكُنِ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ}". يقول النووي في شرحه لهذا الحديث وتعليقه على هذا الحديث: "وأما تخصيص هذه السورة فلأنها وجيزة جامعة لقواعد كثيرة من أصول الدين وفروعه ومهماته، والإخلاص وتطهير القلوب"، انتهى كلامه. فكما أن هذه الحادثة تعد من مناقب أبيّ بن كعب -رضي الله تعالى عنه-، فكذلك السورة التي نص عليها الرب -سبحانه وتعالى- تعد من فضائل السور وبلا شك.

ومجموع تلك الفضائل الورادة في السور القرآنية يمكن أن تجمع في أربعة مضامين، سآتي عليها بإذن الله -عز وجل- بعد إيراد فضائل الآيات؛ إذ مضامين فضائل السور وفضائل الآيات متقاربة، فخشية التكرار أرجئ تلك المضامين إلى نهاية فضائل الآيات بإذن الله -عز وجل.

أكتفي بهذا القدر، ونواصل الحديث في الحلقة القادمة، وسيكون حديثنا بإذن الله -عز وجل- عن فضائل آيات القرآن. وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **نهى الخشن**

قام بالمراجعة الأولى والتدقيق: **أحمد عبد الرحمن**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

